
روايات مصرية للجيب
سلة الروايات
25
Looloo
www.dvd4arab.com
أوراق مجهول (٣)
أيام مع الشبح

شكر خاص

إلى الدكتور أحمد خالد توفيق ، لمراجعته للمـادة العلميـة للرواية ، رغم مشاغله التى لا تنتهى .. الرجل لا يكتفى بلعب دور الأستاذ الذى نقتدى به فحسب ، بل هو لا يتأخر عن مد يد العون لنا إن احتجناه ؛ لذا أجدها فرصـة لأقولهـا له أخيرًا ..

أشكرك ..

١ ـ كوميكس ..

حاول أن تتخيل هذه المشاهد معى على أنها جزء من قصة كوميكس ، حيث يتم تقسيم الأحداث إلـى كـادرات ثابتـة وبلالين حـوار ، نقـرأ فيهـا ما يقـوله مـن فى القصـة ، فلا أعرف طريقـة أفضل لأنقل بها لك ما حدث فى هذا اليـوم ..

حاول أن تقرأ هـذه الصـفحات ، ثم أغلق عينيك لتتخيلها مرسومة أمـامك ، بطريقـة الأكريليك .. ولا تخـش شـيئًا ، فلست مطالبًا أن تكون خبيرًا فى فن الكوميكس ؛ لتفهم ماهو الأكريليك هـذا .. كل ما عليك هو محاولة رؤية لعبة الكمبيوتر (ماكس بين Max payne) بجزئيها .. هل تعرف هـذه اللعبـة ؟ هل رأيت فواصل الكوميكـس بيـن مراحل اللعبة ؟

هذا هو الأكريليك إذن .. فـألوان البلاستيك ذات سحر لا ينكر ، لكنها تحتاج ليد خبيرة لترسم بها ..

والآن هل أنت مستعد ؟ لنبدأ إذن ..

الكادر الأول :

الكادر الأول سيكون لغابة (شانتيلى) فى فرنسا ، التى تحيط بإحكام بفندق (شاتو مونت رويال) الذى نراه فى قلب الكادر ، شامخًا أنيقًا تعكس نوافذه الضخمة ضوء الشمس الغاربة ، ليتألق المبنى كله بلونه الأبيض وسطحه الأزرق بالضوء ، ليبدو أقرب إلى متحف منه إلى فندق خمس نجوم .. الشمس على وشك الغروب ، لذا فهى تلقى بأشعتها الذهبية تجاهنا ، وتجعل هؤلاء الثلاثة الذين يخرجون من سيارة سوداء ، أمام الفندق ، أشبه بثلاثة ظلال ممتدة بلانهاية .. لاحظ أنه كادر كوميكس ، أى أن المشهد ثابت أمامنا ، لكننا نشعر بالحركة من توالى الأحداث ، وبالتأثيرات التى يضيفها الرسام إلى الكادر بفرشته ..

لهذا الكادر هامش علوى ، مكتوب فيه بخط مائل : « كانت الشمس تلقى بأشعتها الذهبية على الوجود ، حين وصل هؤلاء الثلاثة إلى فندق (شاتو مونت رويال) .. »

الكادر الثانى :

الكادر الثانى سيكون لأحذية ثلاثة رجال سوداء لامعة ، تضغط بقسوة على زهور كانت على الأرض عند مدخل الفندق ، لتسحقها سحقًا .. وبالتأكيد سيواصل الهامش العلوى للكادر شرحه : «كان الغموض يغلفهم تمامًا .. »

الكادر الثالث :

الكادر الثالث سيكون للثلاثة وهم يتجهون لاستقبال الفندق ، نرى ردهة الفندق من الداخل ، وهى فخمة كأى ردهة فندق خمس نجوم ، وهناك ثريا هائلة تتدلى من السطح ، بينما أصص النباتات غزيرة الأوراق تحتل الأركان . والثلاثة بأجسادهم الضخمة الفارهة ، والمعاطف السوداء التى يرتدونها تتطاير خلفهم ، فتمنحهم نوعًا خاصًا من المهابة ، بينما نرى عند طاولة الاستقبال شابًا أنيقًا مهندمًا ، يرتدى الزى الرسمى للفندق ، ويبدو عليه الشحوب ، وهو ينظر بتوتر للثلاثة المتجهين إليه ..

الكادر الرابع :

الكادر الرابع سيكون ضخمًا بعض الشيء ، وستكون الكاميرا هذه المرة من خلف ظهر موظف الاستقبال ، لنرى وجوه الثلاثة أخيرًا ..

هذه الوجوه روسية .. الشعر الأشقر .. الذقن الحادة .. العيون الزرقاء الباردة القاسية .. وذلك الاحمرار الخفيف فى بشرتهم ..

هؤلاء الثلاثة روس ، ونلاحظ أن أحدهم أقصر قليلاً من رفيقيه ، وهو من يميل على موظف الاستقبال ـ أى تجاهنا ، مما يجعل وجهه ضخمًا ومخيفًا نوعًا ما فى الكادر ـ بينما يقف رفيقاه بثبات خلفه ينظرون تجاهنا مباشرة ، بأعين لا تطرف .. الكادر ثابت على كل حال !

من القصير الذى يميل على موظف الاستقبال ، تخرج بالونة حوار نقرأ فيها :

ـ غرفة المسيو (لوران فابوس) من فضلك ..

تخرج بالونة من موظف الاستقبال ، نقرأ فيها بحروف متقطعة تعكس خوف الموظف :

ـ رقم (215) .. لكنه لا يستقبل زوارًا فى هذه الساعة .. إنه ..

الكادر الخامس :

نرى الثلاثة يتجهون إلى المصعد بينما موظف الاستقبال يقف فى مكانه يرتجف ، ونلاحظ أن القصير يتقدمهم قليلاً .. إنه كبيرهم إذن .. وأيًا كان ما ينتوونه ، فهو ليس فى صالح المسيو (لوران فابوس) بالتأكيد ..

نرى بالونة تفكير ، أشبه بالغمامة تتصاعد من رأس موظف الاستقبال ، ونقرأ فيها :

ـ من هؤلاء بالضبط ؟!!

لكننا لا نعرف من هم !

الكادر السادس :

ممر الفندق ، حيث البذخ هو الطابع الغالب على كل التفاصيل فى هذا المشهد .. اللوحات على الجدران .. السجاد المخملى على الأرض .. التماثيل الرخامية لأشخاص يتخذون أوضاعًا عجيبة ، لكنه الفن على كل حال ؛ لذا لا يجب علينا أن نعترض ..

ثم الثلاثة ، نراهم من ظهورهم يتجهون إلى أحد الغرف .. ثمة شىء يحمله أحد الثلاثة فى يده ، لكنه أصغر من أن نميزه .. هل هو مسدس ؟!

الكادر السابع :

نرى باب الغرفة يحمل الرقم (215) باللون الذهبى ، ونرى يدًا تحمل أداة معدنية رفيعة تتجه إلى الرتاج ، الذى علقت عليه ورقة مكتوب عليها بالفرنسية (ممنوع الإزعاج) .. نحن نعرف بالطبع ما هو الغرض من هذه الأداة .. الدخول بلاضوضاء كفيلة بلفت الانتباه !

ثم إن الإزعاج ممنوع كما هو مكتوب على الورقة على الرتاج !!

الكادر الثامن :

الكاميرا هذه المرة داخل الغرفة .. ليست غرفة ، بل هى جناح كامل من باب الدقة ، ينضح بالترف والبذخ ، إذ يمكننا أن نرى تلك الأرائك الوثيرة ، والمزيد من التماثيل الرخامية ، وبارًا صغيرًا فى يمين الكادر ، تراصت فيه الأكواب والزجاجات التى يبلغ ثمن الواحدة منها ، مرتب موظف فرنسى لعدة أشهر ..

بالطبع نرى المسيو (لوران فابوس) وهو يحمل كأسًا يتطاير الشراب منها ، مرتديًا روبًا حريريًا ، وهو يهب من

على مقعده مأخوذًا بتلك المفاجأة غير المتوقعة ، بينما نرى الثلاثة وهم يقفون على الباب يحملون ذلك التعبير القاسى على وجوههم ، ومسدسات أنيقة فى أيديهم يسددونها بوضوح إلى المسيو (لوران فابوس) الذى يحمل وجهه تعبير فزع ، سيرهق أى رسام يحاول رسمه ، وقد تصاعدت منه بالونة انفجار حادة الأطراف ، كما يسميها (دينيس أودونيل) رئيس تحرير (DC Comics) ، نقرأ فيها بالفرنسية :

ـ ما هذا ؟؟! من أنتم ؟؟!

ومن القصير الروسى ، يتصاعد بالون نو نيل ، مكتوب فيه :

ـ أنصحك أن تلزم الهدوء .. فلدينا ما سنناقشه معًا قبل أن نرحل ..

الكادر التاسع :

نرى القصير يجلس على أحد الأرائك ، مرخيًا ساقًا على الأخرى ، محتفظًا بالتعبير البارد القاسى على وجهه ، وبالمسدس فى يده ، بينما يقوم أحد رفيقيه ، بتقييد المسيو (لوران فابوس) إلى أحد المقاعد ، الذى يبدو عليه الفزع أضعاف أضعاف ما رأيناه عليه من قبل ، وقد سقطت كأسه على السجادة

الفاخرة ، وقام الثالث بغلق باب الغرفة بإحكام ، ليحظوا بالقليل من المتعة دون مقاطعة ..

من القصير تتصاعد البالونة ذات الذيل ، نقرأ فيها :

ـ والآن .. أمامك خياران لاثالث لهما .. أن تتحدث بالطريقة السهلة ، أو بالطريقة الأصعب ..

ومن المسيو (لوران فابوس) تتصاعد بالونة الانفجار :

ـ عن ماذا أتحدث ؟! من أنتم بالضبط ؟!

الكادر العاشر :

نصف وجه القصير الأيسر يحتل الكادر ، مع الكثير من الظلال على ملامحه ، ليبدو مخيفًا بحق ، ببريق عينه الظاهر ـ من الممكن الحصول على هذا البريق بتلوين الكادر باستخدام أى برنامج جرافيك ـ وقد تساقطت خصلات شعره الأشقر على وجهه .. لاننكر أنه وسيم .. لكنها وسامة مخيفة ، لو كنت تفهم ما أقصده .. نلاحظ أيضًا وجود ندبة خفيفة أسفل عينه اليسرى ..

ومنه تتصاعد بالونة ، نقرأ فيها ونحن نرتجف :

ـ إذن فلقد قررت أن تختار الطريق الأصعب ..

الكادر الحادى عشر :

الفندق من الخارج مرة أخرى ، ونلاحظ أن الشمس قد غربت ، ليحتل قمر شاحب مكانها فى السماء ؛ ليحل الظلام على الكادر ، إلا من الأضواء الخارجة من نوافذ الفندق ، ومن عواميد الإنارة خارج الفندق ، ونرى الثلاثة وهم يخرجون من الفندق ، عائدين إلى السيارة ، وهم يرسمون تلك الظلال الطويلة مجددًا ، والقصير يتقدمهم ، وملامحه تحمل تعبير غضب مخيف ..

الكادر الثانى عشر :

ممر الفندق .. نرى تلك الخادمة البدنية ، طيبة الملامح ـ يجب أن تكون بدينة ليبدو عليها الفزع أوضح ـ تسير فى الممر ، وهى تجر أمامها عربة صغيرة تحمل كمًّا لا بأس به من زجاجات الشراب ، ومن بعض الأطعمة الخفيفة ، ومن النافذة فى الممر خلفها ، نرى سيارة سوداء تبتعد ، كشبح أسود عملاق ..

تتصاعد بالونة من الخادمة ، تدندن فيها بأغنية رومانسية من تلك الأغانى الفرنسية التى يذرفون فيها الكثير من الدموع ، نقرأ فيها ونحن نحاول كتم ضحكاتنا :

ـ ضمنى إلى صدرك أيها الوسيم .. تن لم لم .. أريد أن أرقص لك طيلة الليل ..

الكادر الثالث عشر :

نرى الخادمة تتوقف وهى تضع يدها على صدرها تشهق بعنف ـ بإمكان الرسام أن يرسم الخادمة على أنها زنجية .. الزنوج يعبرون عن الهلع أفضل بكثير ـ وقد بلغت الغرفة رقم (215) ، لتجد أن بابها شبه مفتوح ، وأن هناك دماء تزحف من أسفل الباب إلى الممر .. نرى أن البالونة فوق رأسها كانت تنقل باقى الأغنية ، قبل هذا التوقف المفاجئ :

ـ وحين سأرقص .. تن لم لم .. سأريك كيف أن .. ما هذا ؟!!

الكادر الرابع عشر :

نعود إلى غرفة المسيو (لوران فابوس) ، والكاميرا من الداخل تنقل لنا المشاهد الأخيرة لهذه الأحداث المؤسفة ..

نلاحظ أن الغرفة لاتزال فخمة كما رأيناها أول مرة ، وإن هناك الكثير من الدماء على الجدران وعلى الأرض .. ونرى أن المسيو (لوران فابوس) ، المقيد على مقعده ، قد مات ، لكن الكاميرا فى ظهره ـ لحسن حظنا ـ لذا فلن نرى ما الذى حدث لوجهه بالضبط .. يمكنك أن تتخيل !

ثم نرى الخادمة عند الباب وهى تضع كفيها على فمها الزنجى العملاق ، وعيناها تنقلان أشنع تعبير عن الهلع من الممكن لرسام أن ينفذه ..

إنها تحشد صرختها .. ولا بد أنها على وشك الانفجار ..

الكادر الخامس عشر :

الفندق من الخارج فى ظلام الليل وضوء المصابيح ، وهذه المرة تحيط به صرخة ، لا يمكن لبالون أن يستوعبها ، قادمة من أحد النوافذ :

ـ آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه ..

هذه المرة يوجد هامش سفلى ، نقرأ فيه باقتضاب :

ـ وهكذا انتهت الليلة ، وهى تحمل لقصتنا أول ضحية ..

وهكذا أيها السادة ، أكون قد نقلت لكم أول أحداث قصتنا الجديدة فى خمسة عشر كادر كوميكس فحسب ..

الآن إذن يمكننا أن نعود لنسرد ما حدث .. وما سيحدث ..

* * *

٢ ـ حياة مجهول ..

لكم هو رائع أن تكون مجهولاً !!

لا مسئوليات .. لا أعباء .. لا ماضى يؤرقك التفكير فيه .. ولا مستقبل تخشى عليه من الأيام .. لكم هذا رائع .. لكم هذا مريح ..

لو كنت (محمود) مثلاً ، فأنت مطالب بكل أعباء كونك (محمود) ..

لديك أسرة تطالبك بحقوقها فى كل لحظة من لحظات حياتك ، وربما زوجة كذلك تذكرك بأن حقوقها أهم وأكثر ، فالأطفال فى نمو مستمر ، ومطالبهم تزداد مع كل لحظة ينضجون فيها ، وهناك العمل الذى تدفن فيه حياتك ، لتحصل أول كل شهر على حفنة مضحكة من الأوراق النقدية التى تتلاشى أسرع من دخان سيجارتك ـ بالتأكيد أنت تدخن مع كل هذه المصائب ـ وفى نهاية حياتك ستجلس وحيداً حائراً ، تفكر فيما أضعت عمرك بالضبط ، لتجد أنه لاتوجد إجابة مقنعة تستحق ..

هذه هى أعباء كونك (محمود) .. هل فهمت الآن ما هى روعة أن تكون مجهولاً ؟!!

أنت لاتفكر فى شىء سوى أن تمر بالحياة لحظة فلحظة ، تنشق عبيرها وتبحث بلا كلل عن مواطن البهجة فيها ، وفى النهاية ستجد الكثير والكثير لتحكيه لكل من دفعوا ثمن أن يكونوا هم .. هم !!

أما أنا فلا أملك سوى حقيقة كونى مجهولاً ..

أحيا كمجهول .. أتنفس كمجهول .. أرشف من كأس الحياة كمجهول .. وفى النهاية سأموت كمجهول ، لا يملك إلا هذه الأوراق ليحكى عليها قصته ..

أنتم تعرفون ما حدث لى ، لذا لن أرهق نفسى بتذكره ، بل سأقفز على الفور إلى الأحداث التى بدأت من بعد موت (مجدى) .. (مجدى) من ؟!! اقرأ الأعداد السابقة وستفهم ، أو لا تفعل وستوفر على نفسك العناء !

المهم .. لقد تركت عملى فى سفارة فرنسا؛ إذ لم يعد لـ (أكرم رشوان) وجود ، وانتقلت إلى شقة مؤجرة ـ باسم مستعار ـ فى باريس ، أنتظر أن تبدأ مهمتى الأولى كمجهول ..

هذه هى الصفقة التى عرضت علىّ ، والتى قبلتها أنا بصدر رحب ..

أن أحيا كمجهول ، مقابل تنفيذ بعض المهام من حين إلى

آخر ، دون أن يشعر بى أحد أو يعرف حقيقتى مخلوق ..

لكن ثمة خيوطًا لا تزال تربطنى بحياتى القديمة ، أولها السيد (صلاح) السفير المصرى ، الذى ظل على اتصال بى ؛ ليطمئن على أننى لازلت حيًا ، على فترات متقاربة ، دون أن يأتى على ذكر عملى الجديد ، أو مع من سأعمل ، أو ما الذى سأفعله بالضبط ..

حتى أنا لم أرهق نفسى بالسؤال ..

سيخبرنى حين يأتى الوقت المناسب ، أو حين يحتاجوا لى ، وإلى هذا الوقت أمامى الكثير والكثير لأجربه وأكتشفه .. أنا فى باريس أيها السادة ، ولن أعدم أن أجد شيئًا لأضيع فيه وقتى !

كانت الأحداث الأخيرة التى مرت بها باريس قد غيرت الكثير من طباع هذه المدينة الساحرة - يبدو أنك ستضطر لقراءة الأعداد السابقة لتفهم - فانتشرت قوات الشرطة بغزارة أكثر من المعتاد فى طرقات المدينة ، وبدا التوتر على ملامح الجميع ، كأنهم ينتظرون ضربة منظمة الفوضى القادمة بلاريب ، لكن سكان المدينة أنفسهم بدوا أكثر هدوءًا كأنهم اعتادوا الأمر ، أو كأن القلق نوع من عدم اللياقة الاجتماعية التى اشتهروا بالمحافظة عليها ، كشىء مقدس لا يقبل المساس به ..

بالطبع شاهد الجميع البث المباشر الذى ختم به (مجدى) حياته ، لكنى لم أظهر فيه لحسن الحظ ، مما منحنى حرية الحركة ، دون أن يتعامل معى الجميع ككائن فضائى ، يستأهل المراقبة و الملاحقة فى كل مكان ..

صحيح أن قوات الشرطة أصبحت تحتفظ بملف كامل عنى ، بعد أن أغرقتنى بسلسلة طويلة من التحقيقات ، لكنهم فى نهاية الأمر لم يجدوا أى شىء ضدى ، فتركونى أهيم على وجهى فى شوارع البلدة ، ولا بد أنهم سئموا من مراقبتى ، ونسونى ليتفرغوا للكوارث القادمة التى لا تطيب الحياة بدونها ..

لم يجدوا (فرانسوا) حتى الآن ، إن كان هذا قد جال بخاطرك ، و(فرانسوا) هذا رجل مخابرات سابق ، ساعدنى فى الوصول لـ (مجدى) ، بعد أن كان مموله ، ليدمر هذا الأخير حياته ، بأن أرسل ملفات المخابرات الفرنسية القذرة إلى صحفية اللوموند ، ومعها مجموعة من الصور التذكارية لـ (فرانسوا) .. وهكذا أصبح الكونت (فرانسوا) - كما اعتدت تسميته - هدف فرنسا الأول ، الذى لم يصل إليه أحد بعد ..

لم يتصل بى مجددًا ، فلقد استنفد حاجته منى ، وأصبح لديه مشاكله الخاصة ليهتم بها ، وهكذا لم يعد أمامى أنا سوى أن أستمتع بحياتى ، بعيدًا عن كل ما يربطنى بما حدث ويحدث حتى الآن ..

ثانى من شاركنى حياتى السابقة ، وكنت لا أزال على اتصال بها ، هى طبيبتى النفسية العزيزة (لارا) ، بجسدها الزنجى الضخم ، وأنفاس الكحول التى تبثها مع كل نفس يتردد فى صدرها الضخم ، إذ كنت أذهب إليها على فترات ؛ لنحاول معًا اكتشاف القدرات العقلية التى أمتلكها دون أن أعرف عنها كل شىء حتى الآن ..

لماذا (لارا) بالذات ؟! حسن .. لأنها لن تحولنى إلى فأر تجارب ، ولن تأتى إلىّ فى يوم من الأيام ، لتطلب منى أن أكون موضوع رسالة الدكتوراه ..

هذه المرأة تجيد عملها حقًّا ، لكن غاية أملها فى الحياة هو زجاجة نبيذ جيدة !

على كل حال هاك ما عرفته حتى الآن ..

إلى جوار ذاكرتى الخرافية وقدراتى الهائلة على الاستيعاب والتعلم ، أصبحت أمتلك قدرة محدودة على رؤية ما يحدث

داخل الأماكن المغلقة ، بمجرد أن أمس باب الغرفة بيدى ، وهذا لا يحدث باستمرار ، لكن فى حالات خاصة ، حين أشعر بالخطر ، أو حين أركز بشدة ، وفى هذه الحالة أرى ما يدور داخل الغرف المغلقة فى صور متتالية يصحبها ألم عنيف ، يصعب احتماله ..

هل هذه القدرة مفيدة ؟! أحيانًا .. لكنى لم أستغلها جيدًا حتى الآن ..

القدرة الثانية الجديدة كانت عجيبة بحق ..

ودعنى أنقلك إلى لقائى بالعزيزة (لارا) ؛ لتتعرف معى هذه القدرة الجديدة ..

★ ★ ★

تضع (لارا) أمامى بعض الأشياء العجيبة .. قلمًا مكسورًا .. سلسلة مفاتيح .. سكينًا .. مرجعًا طبيًّا ضخمًا ..

ثم تقول بشغف :

ـ هيا ابدأ ..

أمسك أنا بالقلم المكسور وأركز ، لأقول :

ـ أسمع ضوضاء .. صخبًا متناظمًا .. كأننى فى وسيلة مواصلات مزدحمة ..

ـ رائع .. ـ

أمسك بالسكين وأركز ، لأقول :

ـ أشم رائحة البرتقال ..

ـ مبهر ..

أمسك أنا بسلسلة المفاتيح وأركز ، لأقول :

ـ لا شىء ..

ـ متوقع ..

وأخيرًا أمسك بالمرجع الطبى وأركز ، لأقول :

ـ لست متأكدًا .. أشعر كأننى أسفل الماء ..

وهنا تهز الدكتورة (لارا) رأسها بتفهم ، ثم تبدأ فى الشرح :

ـ إذن فأنت تملك قدرة الـ (Psychometry) .. هل سمعت هذه اللفظة من قبل ؟

ـ إطلاقًا ..

ـ إذن دعنى أشرح لك المقصود بها .. الـ (Psychometry) هى إحدى القدرات النفسية الفائقة ، كالقدرة على قراءة الأفكار (Telepathy) وتحريك الأجسام باستخدام التفكير (Telekirerhy) .. لكن هذه القدرة تختلف .. الـ (Psychometry) يعنى القدرة على معرفة تاريخ الأشياء بمجرد اللمس ، كأن تمسك بشىء

كالسكين مثلاً ، لتعرف كل شىء عمن استخدم هذا السكين ، وفيم استخدمه .. لكن فى حالتك أنت ، يبدو الأمر مختلفًا ..

ـ كيف ؟!

ـ من لديهم قدرة الـ (Psychometry) لا يواجهون مشاكل من أى نوع .. إن الشخص فيهم يمسك بأى شىء ؛ ليعرف تاريخه كاملاً ، كأن ذكريات الجسم انتقلت إلى عقله مباشرة .. لذا كثرت الأفلام والمسلسلات التليفزيونية عن هؤلاء الذين يملكون هذه القدرة الفريدة .. الأمر معك مختلف .. إنه أشبه بمرض (السينيسيشيا) ..

رددت خلفها بصعوبة :

ـ سيذ .. سينيسشيا ؟!!

ـ أعرف أن نطق الاسم صعب .. السينسيشيا (Synethesia) مرض نادر لو جاز لنا أن نسميه مرضًا .. فالمصاب بهذا المرض تختلط الحواس عنده وتمتزج معًا ، بحيث يصبح للمؤثر الواحد أكثر من قراءة لدى المصاب .. فهو لا يسمع الكلمة مثلاً فحسب .. بل يتذوقها ويشم لها رائحة ، ويرى لها لونًا .. أى أن حواسه الخمسة تتعامل كلها مع أى مؤثر ، كما أن المصابين بهذا المرض يمتلكون ذاكرة فوتوغرافية هائلة ، فالمريض منهم يمكنه تذكر صفحات كتاب كامل بمجرد

التقليب فى صفحاته بسرعة .. وهذا يذكرنى بذاكرتك التى تزداد قوة ، وسرعة استيعابك المتزايدة ..

تصب (لارا) بعض الشراب فى كأسها ، كأنما تهنئ نفسها على كم المعلومات الذى ذكرته الآن ، ثم تواصل وقد بدأت تتحمس أكثر :

ـ حين أمسكت أنت بالقلم ، سمعت ضوضاء المترو الذى كنت أنا فيه حين انكسر القلم منى .. وبالطبع آخر شىء قطعته بهذا السكين ، كان البرتقال .. وهذا المرجع الطبى عثرت عليه قرب شاطئ النهر .. أى أن حواسك هى التى تفاعلت بصورة ما مع تاريخ هذه الأشياء ..

كنت أشعر أن هذا كله غريب وعجيب ، لكنى اعتدت أن أبتلع هذا الشعور ، فقلت :

ـ لكنى لم أشعر بشىء تجاه سلسلة المفاتيح ..

ـ هذا وارد .. مثل هذه القدرات لا تكون تحت الطلب ، بل هى تظهر حين تريد أن تظهر ..

فى حالتك أنت أعتقد أنها ستكون تحت طوعك ، فهذه القدرات نتيجة تجارب طويلة تعرضت أنت لها ، وليست مجرد موهبة .. الملخص .. أنت تملك قدرة طريفة ، لكنها قد تسبب لك من المشاكل أكثر مما ستخدمك ، لذا لا تجعلها تستحوذ على تفكيرك ..

لا بد أنها ستجرع من الزجاجة مباشرة هذه المرة .. إنها لا تتوقع أن تضيف أى شىء لأى أحد فى حياتها البائسة ، لذا فهى تشعر بأنها المرأة الخارقة ، وهى تشرح لى هذا الكم من المعلومات ..

ثم إنها مالت علىّ لتسألنى السؤال الذى توقعته :

ـ هه .. هل ظهرت لديك قدرات أخرى جديدة غير هذه ؟!

ـ لا .. ليس بعد ..

ـ لا تشغل بالك إذن .. لديك ما يكفيك حتى الآن لتشغل به وقتك .. لندع الباقى لوقته ..

ـ سأفعل ..

ثم اتجهت إلى الباب لأغادر المكان ، لكنها استوقفتنى ، لتقول :

ـ هل لى أن أطلب منك شيئًا ؟ ولكن .. لا .. انس الموضوع ..

ـ ماذا كنت ستطلبين ؟

ـ أن أجعلك موضوع بحثى القادم ، لكنى لست فى حاجة إلى المزيد من الإرهاق ..

هززت رأسى متفهمًا ، ثم غادرت المكان لأسمح لابتسامتى بالظهور على شفتى ..

لقد كانت (لارا) امرأة تعرف حدودها جيدًا !!

* * *

٣ ـ المهمة الأولى ..

الآن أنت تعرف الكثير عن حياتى كمجهول ، وعن القدرة الجديدة التى اكتسبتها ؛ لذا سأرحمك من التفاصيل التى لاداعى لها ، وسأقفز مباشرة إلى لقائى الأول بالسيد (أنور) ..

حدث هذا فى صباح أحد الأيام ، حين اتصل بى السيد (صلاح) ، ليخبرنى أنه علىّ أن أتوجه إلى مقهى الـ (الحرية) فى الحى الغربى ؛ لأبدأ مهمتى الأول كمجهول ..

بالطبع شعرت بذلك المزيج المهيب من التوتر واللهفة ، لكن الغلبة كانت للهفتى ، فأخذت أرتدى ملابسى بسرعة ، لأتجه إلى ذلك المقهى ..

أخيرًا سأبدأ أولى مهامى كمجهول .. يبدو هذا شيقًا .. يبدو هذا ممتعًا ..

إن عشرات الأسئلة تدور فى ذهنى الآن ..

ترى بأى مهمة سأبدأ ؟؟ وأى هوية سيمنحوننى ؟؟ ومن الذى سأتعامل معه بالضبط ؟؟ هل سيروق لى هذا العالم الجديد الذى أقدم عليه ؟؟ أم أننى سأندم على هذا الاختيار ؟!

إن إجابات كل هذه الأسئلة تنتظرنى فى ذلك المقهى ، حيث سأقابل السيد (أنور) ، ومنه سأعرف كل شىء ..

وصلت إلى المقهى مبكرًا ، لأنتبه إلى ملاحظة طريفة ، وهى أننى لا أعرف كيف يبدو السيد (أنور) هذا ، وحتى لو كان جالسًا الآن داخل المقهى ، فلن أتعرف عليه ..

مؤكد هو يعرف كيف أبدو أنا .. مؤكد أنه يملك ملفًا كاملاً عنى يحوى أدق التفاصيل إلى جوار عشرات الصور لى .. إنه رجل مخابرات ، ولا بد أنهم يملكون مثل هذه الملفات التى تحوى عن المرء ، أكثر مما يعرفه هو نفسه ..

وهذا يعنى أنه لايوجد أمامى شىء أفعله سوى الانتظار .. حتى يظهر السيد (أنور) و ....

ـ « مرحبًا .. هل تأخرت عليك ؟! »

يبدو أننى لن أنتظر طويلاً ..

استدرت لأرى السيد (أنور) لأول مرة فى حياتى ، فلم أصدق ما رأيته ..

قصير هو السيد (أنور) ذلك القصر الذى يجعلك تشعر بعدم الثقة .. القصر الذى يجعلك تشم رائحة المكر والدهاء ،

اللذان هما هبتا أى شخص بهذا القصر .. فما بالك لو أضفنا إلى هـذه القامة القصيرة ، وجهًا قاسى الملامح ، وعينيـن نافذتين ، وصوتًا أجش نوعًا ما ؟!

من المستحيل أن يكون هذا الرجل من المخابرات حقًّا !!

رجال المخابرات طوال القامة ، ويمتلكون جسـدًا رياضيًا وملامح وسيمة ، ويبتسمون بثقـة طيلـة الوقت .. هذا هو ما أعرفه عن رجال المخابرات ، وهذا هو ما كنت أنتظره ..

أن أجد نفسى مع (جيمـس بونـد) شخصيًا ، لأبدأ معه أولى مهامى كمجهول !! أما هذا الـ !!

جلس إلى المائدة جـوارى وهو يلهث ، ثـم تنـاول كـوب الماء على الطاولة ، ليجرعه دفعة واحدة ، ثم قال بارتياح :

ـ أنت (سامى) إذن .. حسن .. لم أتوقع أن تبدو هكذا ..

ـ ماذا ؟!!!!

ـ أنت لاتشبه صورك على كل حال ، أو أن الحياة الباريسـية أضـافت إليك بعض الوسـامة .. على كل حـال .. هل أنـت مستعد يافتى ؟!

ـ لهذا أنا هنا ..

ـ عظيم .. لنبدأ إذن فلا وقـت لنضيعـه .. هل يمكنـك أن تخبرنى ما هذا ؟؟

ثم إنـه منحنى صورة شـاب وسيم ، تناولتها منـه لأتفحصها جيدًا ، قبل أن أقول بثقة :

ـ لم أره فى حياتى من قبل ..

بـالطبع لـم أسـأله مـن صـاحب الصـورة ، بـل انتظـرت ليخبرنى هو .. و ....

وأعتقد أن الوقت قد حان للمزيد من نصائحى المجانيـة ، لـذا هاك نصيحة اليوم .. لا تسـأل رجل مخـابرات عن أى شىء أيًا كان السبب .. ما يريد هو لك أن تعرفـه سيقوله ، دون حتى أن تطلب ، لكن لو سألته أنـت عن المتجر الـذى اشـترى منـه رابطـة عنقـه ، سيمنحك الإجابة الخـالدة : (المعرفة على قدر الحاجة) !

ومن تلقاء نفسه قال السيد (أنور) :

ـ لماذا لا تستخدم قدراتك هذه ؟! سمعت أنك تملك بعـض القدرات العجيبة ..

هذا ما كنـت أخشـاه .. أن يتعامل معـى كمخلوق عجيب لديه قدرات أعجب !

لكنى تمالكت نفسى ، ولُخذت أنظر إلى الصورة وأنا أركز ..

كانت الصورة لرجل فى الثلاثينيات من عمره ، ذى شعر أشقر قصير ، وملامح وسيمة هادئة ، وابتسامة واثقة كأنه رجل أعمال ، أو نجم من نجوم السينما ..

ولسبب ما شعرت وأنا أركز فى صورته ، بمذاق المعدن فى فمى !!

ـ هه .. هل توصلت إلى شئ ؟؟

أجبته بحذر :

ـ لقد .. لقد شعرت بمذاق المعدن فى فمى ..

استقبل السيد (أنور) ردى هذا بنظرة طويلة ، أكدت لى أننى على الطريق الصحيح ، ودون إبطاء نهض من مكانه ليجذبنى من ذراعى ، إلى خارج المقهى ، وقد بدا عليه أنه يحاول كتم انفعالاته بصعوبة ..

سألته بدهشة :

ـ إلى أين ؟!

ـ إلى حيث يمكننا التحدث بمفردنا ..

تبعته بدهشة عبر شوارع باريس المزدحمة فى مثل هذا الوقت من النهار ، حتى وصلنا إلى جسر (ديبلى) لنطل على ذلك المشهد الساحر لبرج إيفل ، ولنقف هناك فى منطقة منعزلة نوعًا ما ، ليبدأ السيد (أنور) فى إخبارى بما أحتاج إلى معرفته :

ـ شعرت بمذاق المعدن فى فمك .. هذا غريب حقًا .. هذا الرجل الذى عرضت عليك صورته ، ستكون مهمتك الأولى هى أن تحرسه عن بعد ، دون أن يشعر هو بك ، وفى النهاية ستساعده على الانتقال إلى مكان جديد سنحدده نحن فى الوقت المناسب .. لكن قبل أن تبدأ مهمتك ، يجب أن تعرف أنك ستعمل كملاك حارس لأخطر رجل عرفه تاريخ المخابرات فى العالم كله ..

واستند إلى سور الجسر ، ليملأ عينيه بالمشهد الساحر أمامه ، ليردف :

ـ مع الرجل الذى اعتدنا أن نسميه .. الشبح !

* * *

تحدث السيد (أنور) ، فأصغيت أنا بانتباه :

ـ القصة تبدأ فى عام (١٩٥٨) فى روسيا ، حين أرسلت

المخابرات الروسية واحدًا من أفضل رجالها إلى ألمانيا ؛ ليقوم بتنفيذ مهمة اغتيال ، هى الأشهر فى تاريخ المخابرات .. فرجلهم (إيجور فيودورف) ذهب إلى هناك ليقوم بالتخلص من شبكة جاسوسية كاملة ، وصل عدد أفرادها إلى عشرة أشخاص ، وكلهم كانوا يتبعون المخابرات البريطانية أو المكتب الخامس كما يطلق عليها .. والواقع أن (إيجور) كان الأفضل فى هذا المجال ، إذ لم تمض ثلاثة أيام على وصوله إلى ألمانيا ، حتى كان ثمانية من هؤلاء العشرة ، قد لقوا مصرعهم ، حاملين إمضاء (إيجور) الشهير .. عملة معنية كان يتركها فى أفواه ضحاياه ، من باب الفلسفة التى لاداعى لها .. وفى اليوم الرابع لبقائه كان رجل المخابرات التاسع قد لقى مصرعه ، وتبقى رجل واحد ، ليحقق (إيجور) نصره الذى لم يسبقه إليه أحد ، لكن الأمور لم تسر كما خطط هو ، إذ استطاع العاشر الهرب حاملاً عمل رفاقه كلهم ، ليعود إلى بريطانيا ، وقد أنقذ ما يمكن إنقاذه .. وبهذا اعتبر أن (إيجور) فشل فى مهمته ..

ـ فشل ؟!! كيف ؟!

ـ العملية كانت أن يقضى على العشرة ، وأن يمنعهم من الهرب بما حصلوا عليه من معلومات ، وهذا مالم يحققه (إيجور) ، وهذا ما نسميه نحن فى عالم المخابرات فشل واضح وصريح .. على كل حال (إيجور) لم يرض بهذا الفشل ،

بل أقدم على أغرب وأعجب خطوة عرفها تاريخ المخابرات على الإطلاق ..

سألت أنا وقد أخذت منى اللهفة مبلغها :

ـ ما الذى فعله ؟!

ـ انطلق إلى بريطانيا خلف الرجل العاشر ، ليقتله هناك فى عقر داره ..

شهقت أنا بانبهار ، لكن السيد (أنور) لم تتغير ملامحه ، وهو يواصل بهدوء :

ـ لكنه لم يفعل هذا دون خسائر ، فلقد انكشفت شخصيته بسبب هذه العملية ، وتحول إلى ما نسميه نحن (كارت محروق) .. عمل المخابرات يعتمد على السرية فى المقام الأول ، وهذا ما خسره (إيجور) ، لذا كان عليه أن يدفع الثمن .. فالمخابرات الروسية لا ترحم أحدًا حتى لو كان من رجالها ..

ـ هل تقصد ؟!

ـ نعم .. لقد أرسلت المخابرات الروسية وفدًا للتخلص منه فى هدوء ، لكنه استطاع الهرب منهم ، ثم بدأ فى اصطيادهم واحدًا تلو الآخر .. وحين انتهى منهم ، قرر (إيجور) أن يتحول إلى شبح ..

رددت أنا خلفه باستغراب :

ـ شبح ؟!

ـ لقد اختفى (إيجور) من على الساحة تمامًا ، ولم يعد هناك من يعرف الطريق إليه ، وظل على هذه الحالة لسنوات طويلة ، قبل أن يقرر الظهور مرة أخرى ..

وشرد السيد (أنور) ببصره ، كأنما يتخيل ما حدث ، وهو يتابع :

ـ ولقد كان ظهوره مدويًا .. عشرات من رجال المخابرات ومن كل الجنسيات ، سقطوا قتلى وهم يحملون فى أفواههم تلك العملات المعدنية التى تميز (إيجور) عن سواه .. لقد تحول (إيجور) إلى أداة إعدام لا ترحم أحدًا ، ولا تميز أحدًا ، حتى إن أكثر ضحاياه ، كانوا من رجال المخابرات الروسية ذاتهم ، كأنما أراد لهم أن يدفعوا الثمن .. وفى كل مرة ، كان ينفذ ضربته ويختفى كأنه شبح يستحيل الإيقاع به ..

كانت عشرات الأسئلة تعتمل فى أعماقى ، لكنى لذت بالصمت ، ليواصل السيد (أنور) :

ـ بالطبع كانت هناك عشرات المحاولات للإيقاع به وللتخلص منه .. وبالطبع باءت جميع هذه المحاولات بالفشل .. أن تقتل شبحًا فهى مهمة عسيرة ، أما أن يقتلك الشبح ، فهذا ما كان مصير كل من سعوا خلفه .. وهكذا تحول (إيجور

فيودورف) إلى أسطورة فى عالم المخابرات .. حتى اختفى الشبح وبلا رجعة من أوائل التسعينيات ..

ـ أعترف أن هذا غريب .. لكن ما علاقتنا نحن بهذا كله ؟

سدد إلىّ السيد (أنور) نظراته التى يبدو أنه يدرك كم هى نافذة مستفزة ، وأجاب :

ـ لقد اتصل بنا السيد (إيجور) ليقدم لنا عرضًا ، لم نستطع رفضه ..

ـ ما هو هذا العرض ؟!

ـ أن نساعده على الهرب من فرنسا ، حيث يتواجد الآن ، مقابل أن يمنحنا حقيبة كاملة من الأسرار التى يسيل لها لعاب أى جهاز مخابرات .. وهذه ستكون مهمتك كما ترى .

ـ أن أساعده على الهرب ؟! ولكن كيف ؟! أعنى ما حاجته إلينا ، مادام الكل قد عجز عن التخلص منه من قبل ؟

ـ السبب بسيط وواضح .. الرجل لم يعد ذلك الشاب الفتىّ القادر على صنع المعجزات ، إنه فى الستينات الآن ، ويريد أن يرتاح قليلاً قبل أن تحين ساعته ، ويبدو أن المخابرات الروسية قد استطاعت تحديد موقعه ، ولهذا أرسلت فريق اغتيال خاصًا جدًّا للتخلص منه ..

ـ لست أدرى .. لكن لم أكن أعرف أننـا نقوم بمثل هذا النوع من المهام ..

ـ ليس فى المعتاد .. لكن حقيبة الأسرار هـذه التى سيمنحنا إياها ، تشتمل على قائمة بالجواسيس الذين يعملون فى الشرق الأوسط ، ومن مختلف الجنسيات ، ومثل هذه القائمـة يجب الحصول عليها أيًا كان الثمن ..

ثم إنه ناولنى صحيفة اليوم ، مشيرًا إلى خبر فى صفحة الحوادث ، قائلاً :

ـ هل قرأت هذا الخبر ؟

ـ رجل الأعمال (لوران فابوس) الذين عثروا على جثته فى فندق (مونت رويال) .. نعم قرأت هذا الخبر ، لكنـه لم يجذب انتباهى ..

ـ (لوران فابوس) كان الصديق الوحيد لـ (إيجور) ، ومعنى أنهم وصلوا إليه ، أنـه لم يعد أمـامهم الكثير حتى يصلوا إلى (إيجور) نفسه .. لهذا علينا أن نتحرك بسرعة ..

ولاذ بالصمت ، ليترك لى الفرصة لاستيعاب هذا كله ، ثم إنه قال بنوع من التردد :

ـ لماذا لا تجرب قدرتك هذه مع الخبر ؟

أجبت بغيظ لم أستطع كتمه :

ـ كف عن التحدث (قدرتى هذه) كأننى حاوٍ ، أقدم استعراضًا فى السيرك ..

ـ لم أقصد هذا ، لكن لاحظ أن هذه القدرات هى سبب انضمامك لنا ، لذا فمن الطبيعى أن نطالبك بالاستفادة منها ..

ابتلعت منطقة بصعوبة ، وأخذت أمسك بالصحيفة المفتوحة على الخبر ، وبدأت أركز قدر المستطاع ..

أركز .. وأركز .. وأركز .. ثم وفى النهاية ..

لا شىء ..

هززت رأسى بمعنى أننى لم أصل إلـى شىء ، فهز هو رأسه متفهمًا ، ليقول :

ـ لا بأس .. على كل حال ، يجب أن نبدأ ، وأول ما سنبدأ بـه هو أننا سنمنحك هوية تتناسب مع هذه المهمة ..

ـ ما الذى سأكونه هذه المرة ؟!

ابتسم السيد (أنور) ابتسامة خبيثة ليجيب :

ـ خمّن ..

* * *

٤ـ ملاك حارس ..

أخذت هذه الباريسية الحسناء ـ لم تكن خارقة الجمال ، ولم أقع فى هواها .. اطمئن ! ـ تبتسم لى مشجعة ، لكننى لم أكن فى حالة تسمح بعقد صداقات جديدة ، فأخذت أتحاشى النظر إليها ، وأخذت أراجع كل التفاصيل فى ذهنى للمرة الألف ..

أنا الآن (رضوان دحمانى) .. جزائرى الجنسية ، وصاحب سلسلة من شركات المنتجات الغذائية ، وأنا هنا لأقضى إجازتى التى اعتدت أن أقضيها كل عام بباريس ، ولا أريد أى إزعاج من أى أحد !

تظن أن الأمر سهل ؟! دعنى أذكرك أننا فى فرنسا ، أى أن هناك عشرات وعشرات من الأوراق القانونية التى تم العبث فيها لصنع شخصية (رضوان دحمانى) ، ولتسجيل شركاتى الوهمية ، ولصناعة تاريخ كامل عنى ، حتى إنهم دسوا إشاعات عنى بين الخدم فى الفندق هنا ، مفادها أننى كنت متزوجًا ، لكن زوجتى لقت مصرعها فى حادث مؤسف ، وهذا كما ترى جعل الجميع ينظرون إلىّ بأسى ، وقد باتوا

على استعداد تقبل أى خطأ يبدر عنى لا يتناسب مع كونى (رضوان دجمانى) المزعوم ..

حين سألت السيد (أنور) عن أهمية هذه التفاصيل التى بدت لى بلا داع ، أجاب :

ـ لأنك لست رجل مخابرات محترفًا ، وستبدر عنك عشرات الأخطاء التى إن لم يلاحظها أى رجل عادى ، ستكون أشبه بمصابيح مضيئة حولك بالنسبة لـ (إيجور فيودورف) الذى يسكن هذا الفندق ..

ـ لكن موضوع الزوجة الراحلة هذا .. ألن يلفت إلىّ الأنظار ؟

ـ سيجعلك تبدو فى صورة الثرى الذى سلبه القدر حبه الوحيد ، فأخذ يمضى لياليه فى السفر وبين كئوس الشراب ..

ـ لكنى لا أشرب !!

ـ أعرف .. أنا مسلم مثلك لو كنت لاحظت .. لكن (إيجور) يشرب كثيرًا ، لذا فأمنيتك الوحيدة أن تلتقيه فى مقهى الفندق ،

فى الساعات المتأخرة من الليل حيث يخرج، ليتناول شرابه، قبل أن يعود للاختفاء فى غرفته طيلة اليوم ..

وهكذا ترانى الآن أجلس فى مقهى الفندق، وأنا أهز رأسى بأسى مصطنع بين الحين والآخر، وأتحاشى تبادل النظرات مع هذه الفاتنة ـ حسن .. إنها جميلة رغم كل شىء ! ـ وهذا فى حد ذاته يبعث على الأسى بحق !

لكن يبدو أن الحماس قد أخذ مبلغه منها، فرأيتها تقوم من على مقعدها لتتجه نحوى بابتسامة واسعة، ورائحة عطر الياسمين تفوح منها بقوة، وقبل أن أجد فرصة للهرب، كانت قد بلغتنى لتقول بعذوبة :

ـ هل تمانع لو تحدثنا قليلاً ؟

ـ الواقع .. أنه .. سوف ..

ـ لاحظت أنك كنت تنظر إلىّ طيلة الوقت، فقررت أن أوفر عليك العناء ..

كان من المستحيل أن أحبطها بأن أذكر الحقيقة، وهى أننى كنت شاردًا طيلة الوقت، لذا أجبت :

ـ إنك تشبهين صديقة كنت أعرفها ..

ضحكت هى ضحكة تقطر رقة ودلالاً، فأخذت أفكر أن أطلب منها الزواج حالاً، لكننى قاومت بصعوبة، لتقول هى :

ـ لا تبدو فرنسيًا، لكنك تجيد الكذب مثلنا تمامًا .. ما الذى تفعله فى فرنسا على كل حال ؟

ـ إجازة ..

ـ توقعت هذا .. أنا هنا لألتقى بأبى، لذا لا تقلق، فلن أطيل عليك ..

ـ لا مشكلة ..

ثم مددت يدى لأصافحها، قائلاً :

ـ رضوان دحمانى ..

ـ (ناتاليا) ..

ـ لكن اسمك ليس فرنسيًا ؟

ـ أعرف .. فوالدى ليس فرنسيًا .. أمى فرنسية، لكن أبى ..

وقطعت حديثها ، لتنظر من فوق كتفى ، إلى مدخل الفندق ، لتقول :

ـ ها هو أبى .. أراك لاحقًا ..

تابعتها وهى تتركنى ، لتذهب إلى ذلك العجوز الذى دخل المقهى ، ليجول بنظراته الباردة فى المكان ، قبل أن يستقبل ابنته بابتسامة هادئة ..

وحين جلسا فى الركن البعيد للمقهى ، تمكنت من إلقاء نظرة فاحصة على وجهه ، لأتعرفه بصعوبة بالغة ..

إنه هو ..

(إيجور فيودورف) ..

الشبح !

* * *

فيما بعد وحين انتهت هذه الأحداث ، منحنى السيد (أنور) نسخة من ملف (إيجور فيودورف) بناء على طلب منى ، سأخبرك الآن ببعض التفاصيل التى وردت فى هذا

الملف ، لتفهم وبوضوح ـ هذه مزية لم أتمتع أنا بها حينها ـ ما الذى نتعامل معه بالضبط ..

هذا الرجل التحق بالمخابرات الروسية حين كان فى الرابعة والعشرين من العمر ، وهى سن مبكرة للالتحاق بالمخابرات ، لكنه كان استثناء خاصًا ، فنبوغ هذا الرجل كان يفوق عمره بمراحل .. وفى أعوامه الأولى فى الجهاز أثبت أنه كان يستحق هذا الاستثناء بحق ، فلقد كان يتأقلم مع هذا العالم الغامض القاسى ، بسرعة غير مألوفة ، كأنما خلق من أجله ، حتى إنهم شكوا فى أمره كثيرًا ، مفترضين أن نبوغه المبكر هذا ، نتيجة كونه جاسوسًا مدربًا ، اندس بينهم ..

وبالطبع خضع (إيجور) للاستجواب مرات ومرات ، وعرضوه لاختبارات طويلة ، قبل أن يصلوا إلى حقيقة واضحة وصريحة ..

هذا الرجل فلتة لا يجب أن تضيع من أيديهم ..

لكن عبقرية الرجل الحقيقية كانت تكمن فى أكثر جوانب عالم المخابرات إظلامًا وسرية .. القتل ..

حين أرسلوه لينفذ أول عملية اغتيال له ـ وكانت الضحية أحد قادة الحزب الشيوعى ـ لم ينفذها فحسب ، بل نفذها بأكثر الطرق حرفية ومهارة ، وقد ترك فى فم ضحيته عملة معدنية ، العادة التى تحولت إلى بصمته الشهيرة فيما بعد ..

حين سألوه عن سر استخدامه للعملة المعدنية ، أجاب متفلسفًا :

ـ من أجل المال يعيش الإنسان .. أنا أمنحهم المال ليرحلوا فى هدوء !

وتوالت مهام الاغتيال على (إيجور) ، وفى كل مرة كانت المهام تزداد صعوبة وتعقيدًا ، وفى كل مرة كان يثبت أنه الأفضل فى هذا المجال ، حتى قرروا المخاطرة به ذات مرة ، ليرسلوه ليتخلص من شبكة مخابرات بريطانية كاملة فى ألمانيا ..

تلك المهمة التى لم تحسب كأول فشل له فى تاريخه فحسب ، بل كانت البداية الحقيقية للأسطورة التى درسها رجال المخابرات فى جميع أنحاء العالم طويلاً ..

أسطورة الشبح !

* * *

لم أستطع منع نفسى من تفحصه فى تلك الليلة ..

لو وجدت أنت نفسك أمام (عمر الشريف) فلن تتمالك نفسك .. فما بالك والذى أمامى هو حامل لقب (الشبح) الرسمى والوحيد؟!

كان لا يزال يحتفظ بوسامة الملامح رغم سنه ، وإن كانت التجاعيد قد تكاثرت على وجهه ، لتمنحه طابعًا يوحى بالإرهاق والمعاناة الطويلة .. هذا الرجل رأى الكثير فى حياته ، ولم يعد بإمكانه المواصلة طويلاً ..

عيناه كانتا تعكسان هدوءًا راسخًا ، وقوة ملاحظة تليق بصقر ، وقسوة هائلة تليق برجل كان يضع العملة المعدنية فى أفواه العشرات من ضحاياه ، وبهاتين العينين مقتنى بنظرة خاطفة بعد أن رآنى أقف مع ابنته ، قبل أن يصرف انتباهه عنى ، لينخرط فى حديث هامس مع ابنته الوحيدة ..

كيف لم يخبرنى (أنور) بأمر هذه الابنة ؟!

بل هل كان يعرف أصلاً ؟!

على كل حال ، وجود الرجل فى المقهى يعنى أن الوقت قد حان لى لأتحرك ، لذا تركت المكان بخطى متثاقلة وملامح حزينة ، كما أكد علىّ السيد (أنور) ، لأتجه إلى المصعد ..

غرفتى فى الممر نفسه الذى توجد فيه غرفة (إيجور) ، هذا لم يأت من قبيل المصادفة ، لذا أسرعت إلى غرفته ، وأخذت أنظر حولى لأتأكد من خلو الممر ، قبل أن أضع يدى على باب الغرفة ، لأبدأ فى التركيز ..

من المؤكد أن (إيجور) رجل مخابرات محترف ، ومن المؤكد أنه وضع عشرات الأفخاخ التى ستكشف له أى محاولة لاقتحام غرفته أثناء غيابه ، لكن من المؤكد أنه لم يتوقع أن يأتى من يستطيع رؤية غرفته بمجرد لمس الباب !

أركز .. أركز .. أركز ..

يتصاعد الألم العنيف فى رأسى ، لكنى أقاوم .. ثم تبدأ الصور فى التوالى إلى رأسى بسرعة غير مسبوقة ..

أرى الآن غرفة الفندق من الداخل ، وأرى بعض الملابس المتناثرة هنا وهناك ، مما يؤكد لى أن هذا الرجل لا يسمح لخدمة تنظيف الغرف ، بالاقتراب من غرفته .. أرى حقيبة ضخمة بجوار الفراش .. أرى أن الصور تتلاحق بسرعة أكبر .. تتحول إلى شريط سينمائى ..

أركز .. أركز .. أركز ..

أنا الآن داخل الغرفة ، أرى ما فيها بوضوح تام رغم الظلام ، وقد بدأ الألم العنيف فى رأسى يخفت تدريجيًا .. وهاهى قدرتى تتطور فى الوقت المناسب تمامًا ..

أنا الآن أتحرك داخل الغرفة بعقلى !

أركز .. أركز .. أركز ..

صحيح أننى غير قادر على تحريك شىء ، أو فتح تلك الحقيبة الضخمة بجوار السرير لأرى ما فيها ، لكنى أستطيع التجول فى المكان ؛ لأرى كيف تبدو غرفة الشبح ..

كانت هناك زجاجات كثيرة خاوية قرب الفراش .. وفيما عدا ذلك لم يكن هناك أى شىء يثير الاهتمام ، فأخذت أتحرك فى المكان ، متجهًا إلى دورة المياة الملحقة بالغرفة ، وقد فقدت أى شعور بالعالم الخارجى ..

يجب أن أسرع .. فقد يعود الشبح وأنا هنا فى مكانى ، وحينئذ ستثور شكوكه حولى ..

أرى دورة المياه من الداخل ، وأرى مجموعة لا بأس بها من العطور ومرطبات البشرة ، تدل على أن هذا الرجل يجيد الاعتناء بنفسه حقًا .. أنظر فى حوض الاستحمام ، لأجد تلك اللفافة الضخمة تملأ حوض الاستحمام ، فأقترب أكثر لأرى ..

أركز .. أركز .. أركز ..

ورغم الظلام .. ورغم أننى كنت أشعر بإنهاك غير عادى .. رأيت ما فى داخل تلك اللفافة البلاستيكية ، لأشعر بهلع لا حد له ..

كانت اللفافة البلاستيكية تحوى جثة رجل ، لم يظهر منه سوى نصف وجهه العلوى ، وقد حدقت عيناه الشاخصتان ، فى السقف بثبات مخيف ..

أركز .. أركز .. أركز ..

ولكن لماذا ؟! لماذا يحتفظ (إيجور فيودورف) بجثة فى حوض استحمامه ؟!

ومن هو هذا الرجل ؟!

ومتى قتل ؟!

وأى برود هذا الذى يمتلكه هذا الرجل ، ليقيم مع جثة فى غرفة فندق ، ثم يتركها ليلتقى بابنته ، وليحتسى بعض الشراب ؟!!

ـ « مسيو .. ما الذى تفعله ؟! »

انتفضت بعنف ، وقد عدت إلى عالم الواقع ، لأجد تلك الخادم يتجه نحوى ، وقد حملت ملامحه الدهشة والقلق ، وهو يسأل :

ـ هل أنت بخير يا مسيو ؟!

ـ أنا .. أنا بخيـ ..

لكنى بترت جملتى ، لأنتبه إلى السبب الذى جذب اهتمام هذا الخادم ؛ إذ كانت الدماء تسيل من أنفى بغزارة لتغرق وجهى وملابسى ، مما دفع الخادم لأن يناولنى منديلاً ، لأمسح به الدماء من على وجهى ، وهو يكرر :

ـ هل أنت بخير ؟! هل أستدعى لك طبيب الفندق ؟!

ـ لا داعى .. إن ضغطى مرتفع فحسب ..

ـ مسيو .. لا داعى لأن تعذب نفسك بذكرى زوجتك .. حاول أن تنساها ..

منحته نظرة طويلة أربكته ، ثم هززت رأسى شاكرًا ، قبل أن أجر نفسى مبتعدًا عن المكان ، لأتجه إلى غرفتى ..

وفى رأسى كانت هناك فكرة واحدة ..

يجب أن أتصل بالسيد (أنور) على الفور .. يجب ..

* * *

كيف كان لى أن أعرف أن (إيجور) قد عاد إلى غرفته فى تلك الليلة ، ليجد قطرة دماء تكاد تجف عند عتبة غرفته ؟!

صحيح أنه رجل مخابرات ، وأن قوة الملاحظة هى جزء من حياتهم ، لكن قطرة الدماء كانت أصغر من أن يلاحظها أى شخص سواء كان عاديًا أو محترفًا ..

لكن الأمر معه مختلف .. إنه الشبح !

لقد رأى قطرة الدماء ، وانحنى عليها ومد إصبعه إليها ليتذوقها باهتمام ..

لقد تأكد من أنها دماء حقًا .. وهذا يعنى بالنسبة له الكثير ..

الكثير جدًا ..

★ ★ ★

٥ ـ هل أنت مستعد ؟!

لكن الاتصال بالسيد (أنور) لم يكن بالسهولة التى توقعتها ..

فالرجل ـ وببساطة ـ لم يمنحنى أى وسيلة للاتصال به .. كل ما قاله هو أننى سأجده عند الحاجة ، وهى كما ترى ، جملة يرددها رجال المخابرات بحماس مفرط دون أن يلتزموا بها .. اتصلت بالسفارة ، لأطلب من السيد (صلاح) أن يطلب من السيد (أنور) الاتصال بى ، لكن السيد (صلاح) كان خارج السفارة طيلة اليوم ، وحين عاد أخيرًا ، أخبرنى مستغربًا ـ كأنه لم ينتبه إلى هذه الحقيقة حتى الآن ! ـ أنه لا يملك وسيلة للاتصال بالسيد (أنور) ، لكنه سيحاول ..

وهكذا .. لكم أن تتخيلوا كيف كان يومى ، وقد قضيت معظم النهار فى غرفتى ، أضرب أخماسًا فى أسداس ، وأنا أحاول العثور على تفسير منطقى لما يحدث من حولى ، وفى النهاية كنت قد قررت أنه ما إن يتصل بى السيد (أنور) حتى أطلب منه أن يعفينى من هذه المهمة ، ومن العمل معهم من الأساس ..

نعم .. ما أحتاجه هو هوية مسالمة، ومحاولة جديدة لأعيش بهدوء، بعد كل الذى رأيته وعانيته ..

أنا لم أخلق لهذه الحياة .. ولم أطلب هذه القدرات .. ولم يعد بإمكانى الاستمرار .. واليوم سأضع حدًّا لهذا كله !

لكن السيد (أنور) لم يتصل !!

أخذ اليوم يمر علىّ ببطء قاتل، دون أن يتصل بى السيد (أنور)، ودون أن أجرؤ أنا على مغادرة الغرفة، فلم يكن لدى أى استعداد، لمقابلة (إيجور) ولو من باب المصادفة .. وهكذا لم يعد أمامى سوى مشاهدة برامج التلفاز الفرنسى المملة، لتمضية اليوم، محاولاً تخيل ما الذى يفعله الآن (إيجور فيودورف) ..

ترى هل يشاهد التلفاز مثلى، أم أنه يتسلى بوضع العملات المعدنية فى فم تلك الجثة فى حوض استحمامه ؟!

إننى حتى لا أفهم كيف أحرس مثل هذا الرجل، الذى يبدو كأنما هو يحرس الموت ذاته، دون مشقة أو عناء ؟!

حين حلّ المساء، كان علىّ الاتجاه إلى مقهى الفندق، وفقًا لتعليمات السيد (أنور)، حيث يقضى (إيجور) لياليه، لأتأكد

من أن كل شىء يسير على ما يرام، وهكذا بدلت ملابسى، واتجهت إلى المقهى؛ لأعود إلى تمثيلية الزوج البائس الذى سلبه القدر أعز ما يملك !

لم تكن (ناتاليا) هناك لحسن حظى، فلم أكن على استعداد للتحدث مع ابنة الشبح، بأى صورة من الصور، لكنى قضيت الليلة كلها فى انتظار ظهوره، دون أن يحدث هذا ..

لسبب ما لم يغادر (إيجور) غرفته هذه الليلة ..

لم أكن أنوى أن أنتظر طيلة الليل، لذا عدت إلى غرفتى بعد منتصف الليل، وقد قررت أن أغادر الفندق فى صباح اليوم التالى، وليكن ما يكون ..

هذا ما انتويته، لكن ما حدث كان ..

* * *

كنت نائمًا فى فراشى فى غرفة الفندق، وكانت الأحلام المضطربة تعبث برأسى، حين سمعت ذلك الصوت يقول ببطء :

ـ أنت .. استيقظ ..

بالطبع اندمج الصوت مع الحلم ، فأصدرت همهمة خافتة ، ولم أستيقظ على الفور ، فكرر صاحب الصوت :

ـ استيقظ يا هذا ..

هنا فتحت عينىّ بصعوبة ، لأجد نفسى فى غرفتى المظلمة ، وعقارب الساعة اللامعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل ، وقد جلس أحدهم على المقعد المواجه للفراش ، والظلال تغطية تمامًا ، فظننت للحظة أنه السيد (أنور) ، لكن اللكنة الروسية بدت واضحة ، حين قال صاحب الصوت أخيرًا :

ـ ثقيلو النوم لا يصلحون لهذا العالم ..

اعتدلت منتفضًا على فراشى ، لأجد أننى فى حضرة (إيجور فيودورف) الذى قال بهدء بارد ، وبصوت ذى رنين عجيب :

ـ هيا ارتدِ ملابسك .. لقد حان الوقت ..

ـ ولكن .. أنت ..

ـ ألست من اختاروه ليعمل على نقلى من فرنسا ؟

ـ نعم .. لكن .. كيف عرفت ؟

بدا لى سؤالى غبيًا ، إلى الحد الكافى ليتجاهله (إيجور) وليواصل :

ـ ما الذى تنتظره إذن ؟! هيا ارتد ملابسك ، فالقطار سيتحرك فى تمام الثالثة .

ـ قطار ؟! أى قطار ؟!

مال الشبح علىّ ، ليدخل وجهه إلى دائرة الضوء ، ولأجد نفسى فى مواجة عينيه الباردتين ، وهو يجيب :

ـ القطار المتّجه إلى لندن ، هل أنت مستعد ؟!

كنت أشعر بارتباك بالغ من الموقف كله ، وقد استيقظت لأجد نفسى فى حضرة الرجل الذى اعتبرته مخابرات أكثر من دولة أسطورة مخيفة ، يحكونها للضباط الجدد ، لكنى تمالكت نفسى بسرعة ، لأقول :

ـ لكنهم لم يبلغونى أننا سنرحل الليلة ..

ـ أنا أبلغك الآن ..

ـ وماذا عن حقيبة المعلومات التى ستمنحنا إياها فى المقابل ؟

ـ ستحصل عليها حين أكون أنا فى القطار .. والآن هيا ..

وهكذا وجدت نفسى أبدل ملابسى لأتبعه إلى خارج الفندق ، وقد أخذ يسير هو أمامى محافظًا على مسافة بيننا ، حاملاً حقيبته الضخمة فى يده ، وقد دس يديه فى جيب معطفه ، وقد بدا هادئًا ، كأنما هو ذاهب إلى نزهة ، لا إلى الهرب من وفد اغتيال كامل ، يسعى فى إثره ، ليضعوا نهاية لأسطورته ..

حين وصلنا إلى سيارته ، ألقى إلىّ بالمفاتيح ، ليقول :

ـ أنت ستقود ..

أخذت المفاتيح ، لأسأل بتوتر بالغ :

ـ إلى أين ؟!

ـ إلى محطة الشمال (Gare du Nord) .. حيث القطار السريع (أوروستار Eurostar) المتجه إلى لندن ..

ـ ولكن ..

ـ قلت لك إن القطار سيتحرك فى تمام الثالثة .. هيا تحرك ..

لم أجرؤ على مجادلته ، لكنى فى الوقت ذاته ، لم أفهم كيف لم يتصل بى السيد (أنور) ليبلغنى بهذا كله .. على كل حال لم أكن أنوى أن أتركه يرحل وحيدًا ؛ لذا قدت السيارة فى صمت ، متجهًا إلى المحطة ، وطيلة الطريق إلى هناك ، لم ينبس (إيجور) بحرف واحد ..

من الغريب حقًا أن تجد نفسك تقود سيارة ، وإلى جوارك هذا الرجل !! لقد كان ثابت الجنان ، هادئ الملامح ، كأنه لا يوجد ما يشغل باله فى هذه الدنيا ، حتى إننى أخذت أختلس النظر إليه عبر مرآة السيارة ، محاولاً أن أستشف أى انفعال من ملامحه الجامدة ، دون جدوى ..

هذا الرجل قضى حياته كلها فى قتل رجال المخابرات ، ولم يعد هناك ما يقلقه فى هذه الدنيا ، بل هو ذاهب الآن إلى حيث سيقضى إجازته الأخيرة ، قبل أن يرحل عن دنيانا هذه بهدوء .. وفى المقابل سنحصل نحن على حقيبة من المعلومات يسيل لها لعاب أى رجل مخابرات ، كما يقول السيد (أنور) ..

بالطبع لم أسأله عن الجثة التى تركها فى حوض الاستحمام فى الفندق .. لم يكن ليجيبنى على أية حال ..

لكنى لا أفهم .. الأمر يبدو أغرب من اللازم .. شىء ما خطأ يحدث ، لكنى لا أستطيع أن أحدد ما هو بالضبط ؟!

وصلنا إلى المحطة بسرعة ، وقد خلت شوارع باريس فى هذا الوقت من الزحام الذى اشتهرت به ، كأى عاصمة اخرى ، ليخرج (إيجور) من السيارة ، ليقول باقتضاب :

ـ اتبعنى ..

إلى أين ؟!

اتبعنى وستعرف ..

دخلنا المحطة التى حملت إلينا عددًا لا بأس به من المسافرين ، يحملون وجوهًا ناعسة ، حتى وصلنا إلى شباك التذاكر ؛ ليقول (إيجور) للموظف الذى بدا عليه النعاس ، فى عينيه المحمرتين ، وجهه المنتفخ ، ليقول :

ـ هناك تذكرتان باسم (شارل ليفييه) ، للقطار المتجه إلى لندن .. الدرجة الأولى ..

راجع الموظف الكمبيوتر على يمينه ، بإرهاق وكسل ، ليتأكد من أن ما يسمعه صحيح ، وأنه لا يحلم ، قبل أن يناول (إيجور) التذكرتين ، قائلاً :

ـ هاك التذكرتان .. رحلة طيبة مسيو ..

تناول منه (إيجور) التذكرتين ، ثم التفت لأسأله أنا بدهشة :

ـ هل سترحل ابنتك معك ؟

ـ ابنتى غادرت البلاد منذ الصباح .. أنت الذى ستأتى معى ..

ـ ماذا ؟!

ـ لن تحصل على حقيبة المعلومات حتى نبلغ لندن ..

ـ لكن ..

ـ الرحلة إلى هناك تستغرق ثلاث ساعات فحسب .. ستأتى معى ، ثم ستعود مرة أخرى ، أى أن الأمر لن يستغرق أكثر من ست ساعات ، بعدها تكون الصفقة بيننا قد انتهت ..

أين هذا الوغد القصير المسمى بالسيد (أنور) ؟! وكيف يتركنى لأواجه هذا كله بمفردى ؟!! كان (إيجور) يقف أمامى ، مسددًا عينيه الباردتين إلىّ فى ثبات ، منتظرًا إجابتى ، فلم أملك إلا أن أهز كتفى مستسلمًا ، لأقول :

ـ كأننى أملك الخيار ..

ـ عظيم .. لنسرع إذن ..

تبعته صاغرًا إلى رصيف القطار ، حيث انتظرنا فترة لا بأس بها ، يلفحنا هواء باريس المثلج فى مثل هذا الوقت ، قبل أن يصل القطار أخيرًا ، لنأخذ مقاعدنا فى الداخل ، وليبدأ الثلج الذى غلفنى فى الذوبان ..

بعد ثلاث ساعات بالضبط نكون فى لندن .. تبدو هذه معجزة بالمقاييس المعتادة ، لكن هذا القطار ، يسير بسرعة ثلاثمائة كيلومتر فى الساعة ، وهى سرعة منحته شهرة لا بأس بها فى جميع أنحاء أوروبا ..

لم أكن أنوى أن أقضى ساعات الرحلة ، فى الصمت المقبض ، لذا سألت (إيجور) :

ـ أليس من الغريب أن تتجه إلى لندن ، حيث انكشفت هويتك ، وحيث جهاز المخابرات الذى لن ينسى صنيعك معه أبدًا ؟

لم يبد على (إيجور) أنه مرحب بهذه المحادثة ، لكنه أجاب بهدوء :

ـ لن يتوقع أحد أننى ذاهب إلى هناك ، خاصة من يبحثون عنى ..

ـ وماذا بعد أن تصل إلى هناك ؟

ـ سأختفى ..

وابتسم بركن فمه ، لأول مرة منذ رأيته ، ليردف :

ـ كشبح ..

وعاد الصمت المقيت ليغلفنا ، حتى تحرك القطار أخيرًا بعجلة تسارعية ، وهو يطلق صفارته الشهيرة ، وسرعان ما أصبحنا خارج حدود باريس ، وقد بلغ القطار سرعته القصوى ، فبدا الاسترخاء على (إيجور) حتى إنه التفت لى ليقول :

ـ لماذا لاتأتى لنا ببعض القهوة ، فنحن لن ننام على كل حال ؟

ـ من أين ؟

ـ العربة الثانية .. لا تتأخر ..

لم أحب دور خدمة الغرفة هذا ، لكنى كنت أحتاج للقهوة فعلاً ، فأنا لم أنم هذه الليلة ، ويبدو أن أمامى وقتًا لا بأس به حتى أجد الفرصة لأنام ، لذا غادرت الكابينة ، واتجهت إلى العربة الثانية ، حيث ينتظرنى مشروب الكافيين المنعش ..

سأكون رحيمًا بك ، وسأتجاوز كل التفاصيل المملة منذ خروجى من الكابينة وحتى عودتى إليها لأجد تلك المفاجأة فى انتظارى ..

لا بد أن بعضكم قد استنتجها ، ولابد أنكم تصفوننى بالغباء الآن ..

نعم .. حين عدت كان (إيجور فيودورف) قد اختفى ..

كشبح !

* * *

٦ ـ الشبح والقتلة ..

الآن نحن نقدم بثًّا مباشرًا من القطار حيث كنت أقف ذاهلاً فى الكابينة التى خلت تمامًا من السيد (إيجور فيودورف) ، حاملاً كوبى القهوة الفرنسية المنعشة ، ووجهى يحمل تعبير دهشة مضحك ؛ لشدة إرهاقى ..

ـ « أين ذهب ؟! »

غمغمت بهذا السؤال لنفسى ، لكنى كنت أعرف الإجابة مسبقًا ..

لقد هرب .. اختفى .. تلاشى ..

ولكن .. كيف ؟!

ألقيت بكوبى القهوة على الفور ، وبدأت أستعيد نفسى ، لتبدأ رحلة بحثى عبر القطار ، ورغم أننى كنت أعرف أنها مضيعة للوقت ، لكنى كنت أثق فى شىء واحد .. إنه لم يغادر القطار ..

بالتأكيد لم يفعل ، إنه فى الستين من عمره على الأقل ،

والقطار يسير بسرعة ثلاثمائة كيلومتر فى الساعة ، إذن .. هل لك يا قارئ الروايات البوليسية أن تخبرنى ، كيف يخرج من قطار يسير بهذه السرعة ؟!

إنه داخل القطار إذن .. لكن أين ؟!

وهكذا لك أن تتخيل ، كيف قضيت الساعة الأولى فى الرحلة ، أجوب القطار كالمجنون ، أبحث عن (إيجور) دون جدوى ، حتى إننى بدأت أبحث فى دورات المياه ، وخلف كل ستارة ، وفى وجوه كل المسافرين ، لأعود أخيرًا إلى الكابينة ، وقد أدركت أن الأمر انتهى فعلاً ..

لقد هرب .. اختفى .. تلاشى ..

فى الكابينة عثرت على حقيبته الضخمة ، ففتحتها بلهفة ، على أمل أن أجد حتى المقابل الذى وعدنا به ، لكن الحقيبة الخاوية ، أخذت تحدق فىّ بسخرية ، لتعلن لى عن نهاية مهمتى الأولى بفشل لا جدال عليه ..

حسن .. أنا لم أكن أصلح لهذا العالم على كل حال ، وكنت أنوى أن أتركه بعد أن ..

مهلاً .. لماذا لا أجرب (قدراتى هذه) كما يسميها السيد (أنور) ؟!

إن لم تفدنى الآن فلابد أنها عديمة الجدوى تمامًا .. لذا أمسكت بالحقيبة الخاوية - الشىء الوحيد الذى تركه الشبح لى - وبدأت أركز ..

أركز .. أركز .. أركز ..

وفى النهاية كانت النتيجة أغرب من أن أفهمها ..

كانت رائحة الياسمين تملأ أنفى بثقة ، فوجدتنى أهمس :

- ناتاليا ..

إن هذا يثير الخيال حقًا .. يمكننى الآن أن أبنى تصورى لما حدث ، لكنى سأخبرك به فيما بعد ..

المهم الآن أن أعود للفندق .. وبأسرع ما يمكن ..

* * *

لكن القطار لن يتوقف من أجلى ؛ لذا كان علىّ أن أواصل الرحلة ، وأنا أسب وألعن فى سرى ذلك الذى اسمه السيد (أنور) ؛ لتركه إياى وحدى فى وسط هذا كله ، كأنى كنت أعمل معهم منذ سنوات ، وأعرف ما علىّ فعله جيدًا ..

بعد ساعتين بلغنا (لندن) حيث كان علىّ أن أنتظر لساعة إضافية ، قبل أن يتحرك القطار الذى سيعود بى إلى باريس ، ولم أكن قد نمت طيلة الرحلة ، فخرجت إلى مقهى قريب لأظفر ببعض القهوة ، ولأتصفح جريدة الحياة اللندنية من باب تمضية الوقت ..

كانت الصحيفة تحمل ذات الأخبار المعتادة التى يمكنك أن تقرأها فى أى صحيفة أخرى ، بدءًا من المطالبة باستقالة رئيس الوزراء (تونى بلير) جزاء كل الحماقات التى ارتكبها ، باشتراكه فى الحرب ضد العراق ، والتى ثبت للعالم كله - أخيرًا - أنها كانت مهزلة مؤسفة لا أكثر ، وانتهاءً بأخبار الفن والسينما والرياضة ، حيث الشائعات هى الطابع الأغلب على تلك الأخبار ، كما هى عادة جميع الصحف ..

لكن خبرًا واحدًا استوقفنى ، وكان يعنى لى الكثير .. بل الكثير جدًا ..

حريق مؤسف فى فندق (الكونتننتال) فى فرنسا ، يشب فى أحد الغرف ، ويؤدى إلى وفاة ساكن الغرفة (شارل ليفيبيه) ، ولقد سارعت قوات الإطفاء بالسيطرة على الحريق ، وتجرى الشرطة الآن تحقيقاتها للتأكد من أنَّ هذا الحريق نتيجة حادث ، أم أنه يحمل شبهة جنائية ..

لا أحتاج الآن قدراتى الخاصة لأشم رائحة (إيجور) فى هذا كله .. لهذا كان يحتفظ بتلك الجثة فى غرفة الفندق .. هكذا يظن الجميع أنه هو ، بينما هو الآن فى لندن ، وربما يهرب منها إلى حيث لا يعلم أحد إلا اللّه .. لكنه لم يضعنى فى اعتباره ، ولست ألومه على هذا .. فكيف له أن يعرف بتلك القدرات التى أمتلكها .. إننى مثله الآن ..

مجهول ..

وكمجهول علىَّ أن أسرع الآن إلى فرنسا ، فهناك الكثير أمامى لأفعله ..

لماذا سأعود إلى فرنسا ، وقد هرب (إيجور) بالفعل ؟؟ حسن .. لأنه سيعود !!

فصحيح أننى شممت رائحة الياسمين حين أمسكت بحقيبته الخاوية فى القطار ؛ لأعرف أن لـ (ناتاليا) يد فيما يحدث ، لكنى سمعت وبوضوح صوت صراخها ..

ربما تكون قدرتى قد تطورت أو ربما هو مجرد حدس أراهن عليه ، كى لا تحمل مهمتى الوحيدة فى هذا العالم فشلاً لن أنساه ، لكننى أعتقد أنه أيًا كان من أرسلوه للقضاء على (إيجور) قد وصل إلى (ناتاليا) .. ولا بد أنهم سيمرحون معها طويلاً ، ولا بد أنها ستخبرهم بالكثير ..

ولابد أن (إيجور) سيعود .. بالتأكيد سيفعل ..

وسأكون فى انتظاره ..

* * *

هكذا يمكننى أن أختصر عليك المزيد من الوقت ، بأن أخبركم أننى عدت إلى باريس ، ومن محطة القطار أخذت سيارة (إيجور) التى كنت قد تركتها أمام المحطة ، لأعود إلى الفندق ، حيث كان بعض رجال الإطفاء قد أنهوا مهمتهم ، ليحين دور رجال الشرطة والمعمل الجنائى .. بالطبع كان مدير الفندق ، هو أشد الموجودين هلعًا ، فالموقف يحمل له كارثة على أية حال فلو كانت هناك شبهة جنائية ، فهذا يعنى سوء النظام الأمنى فى المكان ، ولو كان مجرد حادث ، فهذا يعنى أن الفندق لا يستحق نجمة من نجومه الخمس ؛ لذا رأيته يتحرك طيلة الوقت خلف المحققين ورجال المعمل الجنائى ، وهو يجفف عرقه بمنديل حريرى ، مرددًا بلا انقطاع :

ـ إنه شىء مؤسف حقًا ..

كأن هذا سيحل المشكلة !

وحين رآنى أعود إلى غرفتى ، فى نفس الطابق الذى شبّ فيه الحريق هتف بى :

ـ مسيو (رضوان) .. أرجوك تأكد من أن كل شىء على ما يرام فى غرفتك ، ولو شعرت بأى شك من أى شىء أبلغنى على الفور ..

كنت أعرف أنه لا يريد المزيد من المشاكل بأى صورة ، لذا قلت لأطمئنه :

ـ أشكرك .. أرجو فقط أن ينتهى هذا كله سريعًا ..

ـ آه .. ربما يرغب المحققون فى توجيه بعض الأسئلة لك .. أرجو ألا يضايقك هذا ..

ـ لا بأس ، وإن كنت لا أملك ما أضيفه ، فلقد قضيت ليلة أمس خارج الفندق ..

ـ أعرف .. لكنى فكرت أن أبلغك على كل حال ..

وأخيرًا وجدتنى فى غرفتى الخاوية فى الفندق ، أصغى إلى الصخب فى الخارج ، أحاول مقاومة نعاسى بمجهود جبار ، لأتصل بالسيد (صلاح) ، الذى لم أكد أسمع صوته الوقور يجيبنى ، حتى قلت بغيظ حقيقى :

ـ سيد (صلاح) .. أين (أنور) ؟! هناك الكثير من الأشياء التى ينبغى أن يعرفها ، أولها أن رجله (إيجور) اختفى ..

ـ (سامى) .. اهدأ قليلاً يا فتى .. هل أنت بخير ؟

ـ نعم ولكن ..

ـ هذا هو الذى يهمنى .. والآن كل الذى أطلبه منك هو ألا تقدم على حماقة جديدة ، حتى يتصل بك السيد (أنور) ..

ـ متى سيتصل ؟

ـ اليوم .. هو أخبرنى بهذا ، وطلب منى أن أبلغك ألا تقلق مهما حدث .. والآن اسمح لى فعندى بعض الأعمال التى ينبغى علىّ أن أنهيها ..

وأنهى الاتصال بهدوئه المعتاد ، الذى أشعرنى أننى الوحيد الذى لا يفهم ما الذى يحدث بالضبط ، فلم أجد أمامى سوى أن أعمل بنصيحته ، لألقى بجسدى المكدود على الفراش ، ولأغيب فى نوم عميق دام لساعات ..

وحين استيقظت ، كان الصخب فى الخارج قد توقف فخرجت من غرفتى لأجد أنهم وضعوا تلك الشرائط الصفراء على باب غرفته ، ليسدوا الطريق أمام المتطفلين .. بالطبع لم يعد هناك شىء فى الغرفة يصلح للفحص ، فالنار التهمت كل شىء ، وفريق المعمل الجنائى قضى على ما تبقى من الأدلة ، وهكذا لم يعد

هناك مبرر واحد للمخاطرة .. لكنى أعرف ما لا يعرفون ، وأعرف أنهم سيقضون أيامًا عصيبة فى البحث عن طرف خيط ، لن يوصلهم إلى شىء ..

إنه الشبح أيها السادة .. فأى فرصة تملكونها معه ؟!

تناولت طعامى فى الاستراحة ، وأخذت أضيع الوقت فى التجول فى أرجاء الفندق ، منتظرًا اتصال السيد (أنور) ، وحين أتانى أخيرًا ، على هاتفى المحمول ، وجدته يتحدث بهدوئه المستفز :

ـ (سامى) أين أنت ؟!

أجبت بلهفة :

ـ أنا فى الفندق .. (إيجور) هرب و ....

ـ عظيم .. (سامى) سيتم اختطافك بعد قليل .. أنصحك ألا تقاوم ، واطمئن .. كل شىء تحت السيطرة ..

أصابنى مزيج من الهلع والدهشة ، وأنا أسمع ما أسمعه ، فقلت :

ـ ما الذى تقوله ؟!

ـ قلت لك لا تقلق .. سأشرح لك كل شىء فيما بعد ..

ثم أنهى الاتصال ؛ ليغلق فى وجهى باب الجدل ، فأسرعت على الفور إلى الطابق السفلى ، ومنه إلى مدخل الفندق حيث استوقفنى موظف الأمن ، قائلاً :

ـ مسيو (رضوان) .. هناك من سأل عليك هذا الصباح ..

أجبته بلا اهتمام ، وأنا أواصل طريقى :

ـ فيما بعد .. فيما بعد ..

لكنه قال بإصرار :

ـ لقد كانوا ثلاثة .. ظننتهم من المحققين ، لكن ملامحهم كانت أجنبية ، وحين تحدث أحدهم ، كانت لكنته روسية .. نعم روسية .. لقد سألنى عمّا إذا كنت نزيلاً عندنا ، ثم انصرف على الفور ..

ثلاثة .. لكنة روسية .. الأمر لا يحتاج للمزيد من الفهم ، لذا تجاهلت موظف الأمن ، وأسرعت إلى سيارة (إيجور) فى مرآب الفندق ، ودخلتها على الفور لأدير المحرك ، مستعدًا للهرب بأقصى سرعة ..

سيتم اختطافى ؟! اطمئن ؟!

لقد فقد هذا المدعو (أنور) عقله تمامًا !!

إنه الفريق الذى أرسلوه للتخلص من (إيجور) ، وها هو قد بدأ يسعى خلفى أنا .. لا بد أن (ناتاليا) قد حكت لهم عن كل ذكرياتها منذ الطفولة ، ولا بد أنهم أقنعوها بهذا بطرقهم الخاصة ..

يجب أن أبتعد .. يجب أن أهرب ..

نصيحة مجانية جديدة ..

لو أخبرك رجل مخابرات أن أحدهم سيختطفك ، وأنه لا يجب أن تقلق ، فلا تصدقه ..

بل اهرب على الفور ، كأن شياطين الجحيم تطاردك !

لكنى لم أكد أتحرك بالسيارة ، حتى فوجئت بمن يفتح باب السيارة المجاور لى ثم بيد تجذبنى إلى الخارج بقسوة ، لأتلقى أول ضربة من كعب المسدس على رأسى ..

كانت الضربة عنيفة ، ومفاجئة ، لكنى قاومت لأجد نفسى فى مواجهة ثلاثة رجال ، هتف أقصرهم بشىء ما بالروسية لم أفهمه ، فانهالت الضربة الثانية على مؤخرة عنقى بقوة هائلة كأنها يد القدر ، ليظلم العالم أمامى دون أن أجد فرصة أفضل للمقاومة ..

وهكذا سقطت على الأرض ، ليحملوننى إلى تلك السيارة السوداء ، ولينطلقوا بى إلى حيث سأكون تحت رحمتهم ..

وإلى حيث سنمرح سويًا ..

بدون أى إزعاج !

★ ★ ★

٧ ـ تحت رحمة روسى ..

استيقظت لأجد نفسى فى الموقف التالى ..

كنت مقيدًا إلى مقعد خشبى عتيق ، من تلك المقاعد التى يستحيل زحزحتها من مكانها ، بمجهود رجل واحد مقيد إليها ، ورائحة رطبة خانقة تفعم أنفى ، وثمة عصابة على عينى تمنعنى من رؤية أى شىء ، بينما أخذت أذناى تنقلان إلى عقلى حديثًا هامسًا بالروسية ، لم أفهم منه حرفًا ، فظللت جامدًا فى مكانى ، دون أن أصدر أى حركة ، تشى باستعادتى الوعى ، لأقيّم الموقف إن أصبحت فيه ..

أنا الآن تحت رحمة وفد الاغتيال الروسى ، الذى أرسلوه للتخلص من (إيجور) ، وهذا يعنى أنهم لن يترددوا فى استخدام كل الطرق المتاحة لاستجوابى ، قبل أن يتخلصوا منى ، بلا أدنى شفقة أو رحمة .. والمشكلة أننى حتى لو قررت التعاون معهم ، فلن أمنحهم ما يريدونه ؛ لأننى لا أعرف أين (إيجور) الآن ، وهذا ما لن يصدقوه ، حتى لو كانوا واثقين من صدقى .. كل هذا يحدث لى ، لأننى قبلت أن أنوّم مغناطيسيًا فى أحد المرات ، لذا هاك هذه النصيحة المجانية ، فربما تكون الأخيرة ..

لا تسمح لأحدهم بممارسة التنويم المغناطيسى عليك أيًا كان السبب !!

كيف سأتصرف الآن ؟! كيف ؟!

ألا أملك قدرة خاصة تمكننى من الخروج من هذا الموقف ، لكنى لم أكتشفها بعد ؟! أعتقد أن هذا هو أنسب وقت لاكتشافها لو كانت موجودة ..

لكن أحدهم جذب العصابة من على عينى فجأة ، لأرى أننا فى شقة قذرة شبه خاوية ، وليقول هو بفرنسية ذات لكنة روسية :

ـ لقد استيقظ ..

ـ عظيم ..

وهكذا وجدتنى فى مواجهة ذلك القصير ذو الملامح الوسيمة ، التى بدت لى مخيفة لسبب ما ، وقد سدد إلىّ عيناه الزرقاوتان بثبات عجيب ، ليقول :

ـ والآن .. أمامك خياران لا ثالث لهما .. أن تتحدث بالطريقة السهلة ، أو بالطريقة الأصعب ..

بالطبع بدت لى جملته سخيفة ، فهو يتصرف كأنما يطلب منى أن أريح ضميره ، قبل أن يبدأ فى تعذيبى ، لذا حافظت على صمتى ، فابتسم هو بسعادة ، ليقول :

ـ إذن فلقد اخترت الطريقة الأصعب ..

إنه يهوى التأثير الدرامى إذن فى الاستجواب .. ربما تجدى هذه الطريقة مع (ناتاليا) ، لكن معى ..

تحدثت ببطء لأقول :

ـ يجب أن تعرف أن سفارتى لن تقبل بهذا الذى يحدث .. ولو كنت مكانك لفكرت جيدًا فيما أفعله ..

ـ لا بأس بهذه البداية .. كنت واثقًا من أن ملامحك عربية .. هه .. ما هى جنسيتك ؟

ـ عربى .. هذا يكفى ..

ـ وما علاقة عربى مثلك بـ (إيجور فيودورف) ؟

ـ من هو (إيجور فيودورف) هذا ؟!

هنا شعرت بمن يجذبنى من شعرى ، ويضغط بنصل معنى حاد على عنقى ، لأكتشف أن رفيقى القصير يقفان خلفى ، وأن أحدهما قرر المساعدة ، لكن القصير استوقفه قائلاً :

ـ لا داعى .. صديقنا العربى سيخبرنا بكل شىء ..

تركنى رفيقه بضيق ، فمال القصير بوجهه علىّ ، لأجد نفسى فى مواجهة العينين الباردتين ، ليردف :

ـ وإلا سأجعلك تتمنى لو تركته يذبحك ..

أعترف لكم أننى شعرت ببعض الابتذال فى طريقته ، لكنى كنت أعرف أنه صادق فيما يقول ، لذا قلت على الفور :

ـ لكنى لا أعرف عمّن تتحدث حقًّا ..

ـ عن الذى كنت تقود سيارته .. والآن ، هل ستكف عن العبث ، أم أننى سأضطر لإضاعة وقتى ؟

يالى من أحمق غبى !! كيف لم أنتبه إلى هذه النقطة ؟!

لهذا أنا لا أصلح للعمل فى المخابرات ، ولهذا ـ لو خرجت من هنا حيًّا ـ سأطلب من السيد (صلاح) أن يمنحنى حياة تقليدية مملة ..

المشكلة الآن هى أننى لا أملك أن أقول ما أعرفه .. فأنا لا أعرف شىء واحد ذو قيمة ، ولا يمكننى أيضًا أن ألوذ بالصمت ، وإلا بدأ القصير فى تجربة وسائل الاستجواب الروسية الشهيرة علىّ ، فما الحل إذن ؟!

أين أنت أيها الوغد (أنور) ؟؟!!!

ـ « يبدو أنك قد اخترت بالفعل .. »

قالها القصير ، ثم اتجه إلى طاولة صغيرة عليها حقيبة مفتوحة ، تحمل أدواتًا معدنية عجيبة الشكل ، لكنها موحية

بشدة .. أدوات تصلح لقلع الأظافر ، ولتحطيم العظام ، ولتمزيق الأعصاب ، وكل هذه الأدوات ستكون من نصيبى أنا .. لكم أنا محظوظ !!

انتقى القصير أكثر هذه الأدوات إفزاعًا واتجه بها إلىّ ، ليقول مبتسمًا فى جذل :

ـ أعدك أنك ستخبرنى بكل ما تعرفه بعد قليل ..

كنت أشعر بهلع لاحد له ، لكنى جاهدت كى أبدو متماسكًا .. لو كنت سألقى حتفى ، فسألقاه بكرامه تليق بعربى .. ولو حدث هذا ، فجلّ ما أرجوه أن تعود روحى إلى هذه الدنيا لأتسلى بتعذيب السيد (أنور) حتى يفقد عقله !!

أخذ القصير يقترب منى ببطء ليحافظ على التأثير الدرامى للأحداث ، حاملاً أداته المخيفة ، وهو يبتسم بثقة من يعرف استخدام هذه الأداة جيدًا ..

إنه لا يمارس عمله فحسب ، بل يستمتع به كذلك .. ولا يوجد شىء فى هذه الدنيا قادر على إفساد متعته إلا ... إلا ...

إلا أن يدوى ذلك الانفجار فى الخارج ليطير باب الشقة إلى الداخل ، وليقتلع فى طريقه أحد رفيقى القصير بدوى هائل ، قبل أن يسقطا أرضًا ..

والآن لا أجد طريقة مناسبة لوصف المعركة التى حدثت ، ولا يمكننى أيضًا أن أكون مستفزًا ، لأتجاوزها إلى ما حدث بعد ذلك .. لذا علىّ أن أبحث عن طريقة فريدة ومبتكرة لأروى لك ما حدث ..

نعم .. المزيد من الكوميكس ! لنبدأ بسرعة ..

الكادر الأول :

أنا ما زلت مقيدًا إلى المقعد ، وتلاحظون نظرة المفاجأة فى عينى القصير ورفيقه الأول ، وهما يشهران أسلحتهما ، بينما رفيقه الثانى يهب من على الأرض كدب هائج وهو يشهر مسدسه ويضغط على الزناد تجاه الباب المفتوح ..

بالطبع سيكون الهامش العلوى من نصيبى لأقول فيه : (كانت المفاجأة غير متوقعة بالمرة ..)

الكادر الثانى :

نرى الآن أن الثلاثة يتجاهلوننى تمامًا ، وقد بدءوا يطلقون النار على الباب المفتوح ، دون أن يدخل عبره شىء ، سوى تلك العلبة المعدنية التى أخذت تتدحرج تجاهى وقد بدت مستعدة تمامًا لأن تنفجر أسفل قدمى !!

تلاحظ أننى أحاول وبهستيريا أن أتخلص من قيودى ، لكن .. لا جدوى .. يهتف القصير فى بالونة ترتفع فوق رأسه :

ـ ابتعدا !!

بينما أواصل أنا فى الهامش العلوى : (وحين بلغت القنبلة أسفل قدمى .. أدركت أنها النهاية)

الكادر الثالث :

القنبلة تنفجر أسفل قدمى ؛ ليخرج منها أطنان من الدخان ـ رسم الدخان هو كابوس أى رسام ، لكنه ما حدث ! ليبدأ الجميع وأنا منهم فى السعال الحاد ، وقد أصبحت الرؤية شبه معدومة ، بينما أخذ القصير فى التراجع إلى الخلف ، وهو يطلق رصاصاته عشوائيًا على الدخان ..

الكادر الرابع :

يظهر الشبح .. شبح ضخم لرجل يرتدى معطفًا أسود يتطاير خلفه كعباءة .. مرتديًا قبعة رعاة البقر الأمريكية ، وقناعًا واقيًا من الدخان على وجهه يخفى ملامحه تمامًا ، وهو يحمل مسدسين فى كلتا يديه ، يطلق منهما الرصاصات بدقة مبهرة ، لتطير مسدسات رفيقى القصير ، اللذين تحولا بفضل الدخان والسعال إلى كائنات بائسة لا حول لها ولا قوة ..

فى الهامش العلوى نقرأ : (وكان الهجوم ساحقًا ..)

الكادر الخامس :

من وسط الدخان الذى يملأ الكادر ترى الشبح يحطم فك مرافق القصير الأول ، بينما ساقه مغروزة فى معدة المرافق الثانى .. لو كان هذا (إيجور) فأنا أحسده على اللياقة التى يتمتع بها فى سنه هذا ، ولو لم يكن (إيجور) .. فمن هو منقذى هذا ؟!

الكادر السادس :

من زاوية رأسية ، نرى الشبح يختم قتاله مع رفيقى القصير بضربتين موفقتين من كعبى المسدس على رأسيهما ، كانتا من القوة إلى الحد الذى تتناثر معه الدماء من رأسيهما ، مصحوبة بكلمات (طق) و(طاااخ) الذين يكتبان على الكادر عوضًا عن الصوت ، وترانى أنا أرمق هذه النهاية ، وجسدى ينتفض لفرط السعال ، كما تلاحظ أن القصير قد اختفى من المكان ..

فى الهامش العلوى تقرأ : (قلت إن الهجوم كان ساحقًا .. وناجحًا !)

الكادر السابع :

الآن يمكنك أن ترى هذا الشبح وهو يحل وثاقى ، بينما تساقط رفيقى القصير على الأرض من خلفه ، والدماء تنزف من رأسيهما .. ترى أن قنبلة الدخان أسفل قدمى تلفظ انفاسها الأخيرة ، ويمكنك أن تلاحظ رغم الأدخنة أن هذا الشبح هو (إيجور) .. وها هو يتصرف كلقبه تمامًا ..

منى تتصاعد بالونة ذات ذيل ، أقول فيها بأنفاس متقطعة من السعال :

ـ هنـ .. كح .. هناك ثالث .. كح كح .. إنه هنا ..

ومن (إيجور) تتصاعد بالونة صغيرة يقول فيها باقتضاب :

ـ أعرف .. لا تقلق ..

الكادر الثامن :

فى هذا الكادر ترانى أهب من على المقعد والسعال يمزق صدرى ، وعيناى محمرتان تغمرهما الدموع ، بينما يسرع (إيجور) إلى أحد الغرف ، شاهرًا مسدسيه أمامه ، ومعطفه

لا يزال يتطاير من خلفه ، كأنه بطل قصة أسطورية .. كأنه ملاك الموت وقد جاء ليحصد أرواح الخطاة !

فى الهامش العلوى تقرأ (وبأسرع مما توقعت انتهت المعركة .. أو كادت)

الكادر التاسع :

الدخان بدأ يقل تدريجيًا ليجعل الرؤية أوضح قليلاً .. ترانى أقف بصعوبة وأنا أنتزع المسدس من أحد رفيقى القصير الفاقد الوعى ، من باب الاحتياط والتأهب للأسوأ ، وترى ذلك الوميض القادم من الغرفة مصحوبًا بالـ (رتاتاتاتاتاه ..) المميز لكم الرصاصات التى يتم إطلاقها فى الداخل الآن ، والذى يؤكد أن مواجهة القصير ، لم تكن بالسهولة المتوقعة .. لابد أن الجحيم ذاته يستعر داخل الغرفة ، لكن لا خيار أمامى .. يجب أن أدخل !

الكادر العاشر :

كدت أبلغ باب الغرفة حين خرج القصير فجأة وقد غطت الدماء نصف وجهه ، ليدفعنى بيديه ، والغضب باد فى ملامحه ، بينما أطلقت أنا رصاصة من مسدسى ، طاشت مع هذه الدفعة غير المتوقعة ..

القصير هرب .. ما الذى يعنيه هذا ؟!

الكادر الحادى عشر :

أنا أهب من على الأرض ، بينما ترى أن القصير قد اختفى من الكادر ـ لقد هرب ـ وعند باب الغرفة ترى (إيجور) يستند على الجدار ، وهو يفتح أزرار معطفه ، لنرى سويًا تلك السترة الواقية من الرصاصات ، وقد حملت عددًا لا بأس به من الثقوب ، تدل على أنه لولا وجودها ، لكان (إيجور) الآن مجرد ذكرى ..

منى تتصاعد بالونة متحمسة ، تقرأ فيها :

ـ لقد هرب .. يجب أن نلحق به ..

ومن (إيجور) ذات البالونة المقتضبة :

ـ لا داعى لهذا ..

الآن يمكننا أن نتوقف عن أسلوب الكوميكس ، وأن نعود لأسلوب السرد العادى ، ففى الوقت الذى أخذ (إيجور) فيه ينزع القناع الواقى عن وجهه ، كنت أنا أهتف بعصبية :

ـ لكنه خطف ابنتك .. (ناتاليا) ..

ـ مطاردته لن تجدى بشىء .. لقد اختفى فعليًا ..

وهنا لدهشتى دخل السيد (أنور) المكان - أخيرًا ظهر ذلك القصير ! - واضعًا كفيه فى جيب معطفة كعادته ، ليقول بهدوء شديد مستفز :

- إنه على حق .. لقد اختفى ..

ثم ابتسم بارتياح ، ليردف :

- وهذا يعنى أننا نجحنا ..

- !!!!!

★ ★ ★

٨ - لنتبادل المعلومات ..

طيلة الطريق إلى شقتى المؤجرة فى باريس ، أخذ السيد (أنور) يقود السيارة ، وهو صامت كتمثال ، وشفتيه تحملان ابتسامة غامضة مثيرة للأعصاب ، وإلى جواره جلس (إيجور) فى حالة هدوء تامة ، يرمق الطريق من زجاج النافذة ، دون أن يبدو كأن شيئًا مما حدث حتى الآن يؤثر فيه على الإطلاق ..

وحدى جلست فى المقعد الخلفى ، أضرب أخماسًا فى أسداس ، عاجزًا عن فهم ما الذى يحدث من حولى ، كما هى العادة منذ زمن ، وأنا أتساءل عمّا حدث وسيحدث ، وعن الخطوة التالية التى سنقوم بها ، إن كانت هناك خطوة تالية ..

وصلنا أخيرًا ، فخرجنا من السيارة ، وانضممنا فى المصعد الضيق ، ليحملنا إلى الطابق الرابع ، حيث الشقة التى منحونى إياها ، حتى إننى لم أندهش ، حين وجدت السيد (أنور) يخرج مفتاحًا ليفتح به الشقة ، كأنه من يسكن هنا لا أنا ..

وحين دخلنا سويًّا إلى الشقة ، كان هناك شخص رابع فى انتظارنا ، يولينا ظهره وهو يدخن بإفراط ، وقد أمسك فى كفه بكأس صغير يحتوى على الشراب ..

وحين التفت ليواجهنا ، لم أستطع كبح جماح دهشتى ..

نعم .. لقد كان هو .. (إيجور فيودورف) ..

الشبح !!

* * *

الآن ينزع شبيه (إيجور) القناع من على وجهه ، ليظهر شاب مصرى وسيم الملامح ، ليجلس جوار (إيجور) الحقيقى ، بينما السيد (أنور) يغلق الباب من خلفنا ، قبل أن يجذبنى من يدى لأجلس ، لأتبعه محاولاً السيطرة على أعصابى ..

وأخيرًا يقول السيد (أنور) :

ـ أعرفك أولاً بالسيد (أمجد) الذى أنقذك متنكرًا فى هيئة (إيجور) ..

هزّ السيد (أمجد) رأسه دون أن ينطق بحرف ، فتابع السيد (أنور) بالفرنسية موجهًا حديثه لى :

ـ والآن يا عزيزى .. هل تريدنى أن أشرح ، أم ستخبرنا أنت بما حدث ؟!

ـ أعتقد أن لى تصورًا ما عمّا حدث ..

ـ أخبرنا به إذن ..

صمت لحظة لأستجمع أفكارى كلها فى رأسى ، ثم قلت :

ـ الواقع أننى لم أكن مستعدًا لما حدث .. المطلوب منى كان أن أحرس هذا الرجل سرًا ، تمهيدًا لمساعدته على الهرب من البلاد ، أما أن أكتشف له ابنة ، وأنه يحتفظ بجثة فى غرفة الفندق ، فهذا ما لم أتوقعه .. لقد حاولت الاتصال بك حينها لأبلغك هذا ، لكنك اختفيت دون سبب لتتركنى أواجه هذا كله وحدى ، وحين ظهر (إيجور) فى غرفتى ، ليطالبنى بالسفر معه ، لم أعرف كيف أتصرف فتتبعته وأنا أشعر بأن هناك خدعة ما تنتظرنى .. وقد كان ..

التقطت أنفاسى لأتمكن من المواصلة ، ثم تابعت :

ـ لقد اختفى (إيجور) فجأة حين كنت فى القطار تاركًا لى حقيبته الخاوية ، فلم يعد أمامى سوى اللجوء لقدراتى لمحاولة فهم ما حدث ، وباستخدام قدراتى مع كثير من المنطق ، استطعت أن أبنى التصور التالى .. (ناتاليا) كانت فى الفندق ، لتزود أباها بتلك الحقيبة التى تحتوى على أدوات تنكر .. ولا بد أنه تنكر فى هيئة شخص بدين ، فهذا

يتناسب مع حجم الحقيبة الضخم ، والسهولة التى كان (إيجور) يحملها بها ، رغم عمره المتقدم .. لكنى تمكنت أيضًا من الشعور بأن ابنته أصبحت فى خطر ، وأنه سيضطر للعودة .. وما حدث بعد ذلك معروف ، بما فيه اتصالك المستفز عمّن سيخطفوننى ، الشىء الوحيد الذى لم أفهمه هو كيف عرف (إيجور) أنه أنا من أراقبه بهذه السرعة ؟! أعنى أننا اتخذنا الاحتياطات اللازمة .. أجاب (إيجور) بلا اكتراث :

ـ قطرة الدم التى تركتها أمام باب غرفتى .. سألت الخدم فأخبرونى من هو الأحمق الذى لم يجد سوى باب غرفتى لينزف أمامه ، وكانت ابنتى أخبرتنى أنك عربى ، فلم يعد من الصعب استنتاج الباقى ..

هنا تحدث السيد (أنور) وهو ينظر لى نظرة خاصة ، مكملاً :

ـ لكن (إيجور) لم يعرف أن ابنته قد سقطت فى تلك الليلة فى أيدى وفد الاغتيال الذى أرسلوه للتخلص منه ، وكنت أنا من أبلغه هذا الخبر ، حين كان يقف حائرًا فى مطار لندن ينتظر ظهورها ، لأعود به إلى هنا بينما كنت أتصل بك لأطلب منك ألا تقلق .. فلقد كنت أعرف ما الذى سيحدث بالضبط ..

وصمت قليلاً ، قبل أن يردف :

ـ بالطبع كنت أعرف موضوع الجثة التى يحتفظ (إيجور) بها لتلعب دوره حين يشعل الغرفة ، ليظن الجميع أنه هو من احترق ، كما كنت أعرف موضوع ابنته ، وهذا هو كان بداية شكى .. لذا أعددت خطتى بحيث تشمل جميع الاحتمالات ومنها ما حدث فعلاً .. لذا فلم تكد أنت تسقط فى أيدى رجال المخابرات الروسية ، حتى كان الزميل (أمجد) قد تنكر بهيئة (إيجور) ليتبعك ، ولينقذك .. على الأقل هذه المرة كنّا نعرف ، عكس ما حدث لـ (ناتاليا) التى اختطفوها فجأة .. لم أتمالك نفسى من أن أسأل :

ـ لماذا تنكّر بهيئة (إيجور) ؟!

ـ ظهور (إيجور) أمام وفد الاغتيال هذا وهزيمته لهم بهذه الصورة ، ستجعلهم يندفعون كالحمقى إلى حيث يحتفظون بالكارت الأخير الذى قد يضمن لهم النصر فى هذه المعركة .. إلى حيث يحتفظون بـ (ناتاليا) .. وهكذا يستطيع فريق التتبع والمراقبة تحديد مكان (ناتاليا) على وجه الدقة ..

هنا سأل (إيجور) بلهفة لم يستطع مداراتها :

ـ هل حددتم مكانها ؟!

ـ ليس بعد .. لكن لا تتوقع أننا سنساعدك هذه المرة بدون مقابل ..

ـ أنا مستعد لأى شىء .. أى شىء مقابل أن تنجو ابنتى ..

وعلى الرغم منى وجدتنى أنظر إلى (إيجور) بدهشة ..

كان من العجيب حقًا أن أرى (إيجور) فى حالة الضعف الإنسانى هذه التى أخذ يقاوم ظهورها عليه بضراوة ..

هذا الرجل الذى ارتجفت المخابرات فى جميع أنحاء العالم لمجرد ذكر اسمه ، يبدو الآن كأنما فقد جزءًا من رهبته ، وهو يتحدث عن استعداده لفعل أى شىء .. أى شىء لينقذوا ابنته الوحيدة ..

ألم أقل لكم هو رائع أن تحيا كمجهول ؟!

ها هو الشبح ذاته يدفع ثمن كونه (إيجور) !

كنت أعرف أن السيد (أنور) سيساعده على أى حال ، لكنها كانت فرصته ليجعله يدفع الثمن ، فقال بقسوة :

ـ وما الذى يضمن لنا أنك لن تتلاعب بنا ثانية ؟

لم يتردد (إيجور) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ قلت لكم أى شىء مقابل إنقاذ ابنتى .. أى ضمانات تريدها ..

ـ عظيم .. لننتظر تقرير فريق المراقبة والتتبع إذن ..

هنا سألت أنا أخيرًا :

ـ سيد (أنور) .. مادمت كنت تعرف ، فلماذا لم تبلغنى بهذا كله من قبل ؟!

ـ هناك قاعدة فى عالمنا تقول إن المعرفة على قدر الحاجة ..

تماسكت كيلا أهشم عنقه ، لأقول :

ـ أعتقد أن دورى انتهى إذن ..

ـ ليس بعد .. انتظر قليلاً ..

قالها السيد (أنور) ، فابتلعت ضيقى ولذت بالصمت الذى ساد على المكان ، وقد انتظر الجميع اتصال فريق المراقبة والتتبع ، وحين أتى الاتصال أخيرًا ، كانت اللهفة المطلة من عيون الجميع تدل على أن (إيجور) ليس وحده من يشعر بالقلق ..

استغرق الاتصال دقائق معدودة أخذ فيها السيد (أنور) يغمغم بكلمات غير مسموعة ، وبالعربية ليضمن أن (إيجور) لن يفهم حرفًا مما يقوله ، قبل أن ينهى الاتصال ليقول بتوتر بالغ :

ـ لقد حددنا الموقع .. لكن ..

ـ لكن ماذا ؟!

كانت هذه من (إيجور) ، فأطرق السيد (أنور) لحظة ـ لو كان يريد تمزيق أعصابه ، فلقد نجح فى هذا تمامًا ـ قبل أن يجيب أخيرًا :

ـ إنها هناك .. فى بيت العقارب ..

لم تتحرك عضلة فى وجه (إيجور) ، لكن صوته عبّر عن الانفعال الذى يموج فى أعماقه :

ـ ماذا تقول ؟!

ـ هذا هو الموقف .. يجب أن نتصرف وبسرعة ، فليس من الحكمة أن نتركها تحت رحمتهم ..

سألت قبل أن يتجاهلنى الكل كالمعتاد :

ـ ما هو بيت العقارب هذا ؟!

فأجابنى السيد (أنور) :

ـ إنه مقر للمخابرات الروسية فى فرنسا .. ليس مجرد مقر ، بل حصن فى الواقع يستخدمونه للحفاظ على من حياته فى خطر بالغ ، أو من يريدون تعريض حياته لخطر بالغ دون أن يزعجهم أحد .. هذا هو ما يمكننى أن أخبرك به ..

هنا قال السيد (أمجد) باهتمام :

ـ أوافقك الرأى فى أهمية التحرك سريعًا .. فذلك القصير الأشقر الذى يقود وفد الاغتيال شرس للغاية ، حتى إننى لا أنكر أننى نجوت منه بأعجوبة ..

سأل (إيجور) بقلق يتزايد حتى بات من العسير مقاومته :

ـ قصير أشقر ! هل يمكنك أن تصفه لى قليلاً ؟!

ـ لا شىء مميز فيه سوى ندبة خفيفة أسفل عينه اليسرى ..

خرج صوت (إيجور) هذه المرة ، حاملاً مزيجًا عجيبًا من القسوة والخوف والغضب والمقت :

ـ إنه (أنطون) .. لقد أرسلوا (أنطون) ..

ـ من هو (أنطون) هذا ؟!

ـ إنه ابن واحد من أعز أصدقائى .. أو من كان كذلك .. فلقد قتلته حين أرسلوه لاغتيالى ذات مرة ..

ـ أى أنه يبغى الانتقام .. عظيم .. هذا ما كان ينقصنا ..

ثم صمت السيد (أنور) ليغرق فى تفكير عميق ، فاحترمت صمته ، وأخذت أرمق (إيجور) الذى بدا وكأنما تضاعف

عمره مرات ومرات ، وهو ينظر إلى السيد (أنـور) الـذى دام تفكيره لبضع دقائق قبل أن يقول :

ـ لا خيار أمامنا .. سنهاجم بيت العقارب ..

ـ لكن .. ألا تعتقد أنه لا ينبغى لنا التورط مع المخـابرات الروسية بصورة مباشرة ؟

كانت هذه مـن السيد (أمجـد) ، لكن ابتسـامة الغمـوض وجدت طريقها إلى شفتى (أنور) وهو يقول :

ـ لا تقلق فلدى خطة ..

وبدأ فى الشرح خطته لنا بهدوء وثقة ، وبأسلوب جعلنى أندمج معه تمامًا ، حتى إننى بدأت فى تقديم الاقتراحات بعد أن انتهى ، وبدأ الجميع يصغون إلىّ ، ثم انضم السيد (أمجـد) ثم (إيجور) نفسه ..

هل يعرف أحدكم (ورشة السيناريو) التى تنعقد قبل أى فيلم ؟

حين يجلس أكثر من مؤلف ، فيلقى أحدهم بفكرة ما ليتلقفها آخر ، ويبدأ فى إعادة صياغتها والإضافة عليها ، ثم ينضـم ثان وثالث ، وكل منهم بآرائه وأفكاره ، حتى تتبلور الفكـرة تمامًا تحمل فى أساسـها فكرة الأول لكنها مغطاه بعصـارة أفكـار الجميع وخلاصـة تجاربهم .. هذه هـى الفكـرة التـى تصلح .. هذه هى الفكرة التى ستنفذ ..

لقد كان الأمر أشبه بهذا ، لكن بين ثلاث من رجال المخـابرات ورابع ـ هـو أنا ـ يحمـل خبـرات غيـر عـادية ، إضـافة إلى خبراته كرجل شرطة سابق ..

لا بـد أن اجتماعنـا هذا قـد استغرق أربـع سـاعات علـى الأقل ، لكننا فى النهاية كنا ننظر برضا إلى المخطط النهـائى الذى وصلنا له ..

هذه هـى الفكـرة التـى تصلـح .. هـذه هـى الفكـرة التــى ستنفذ ..

لننفذها إذن ..

★ ★ ★

٩ - إلى بيت العقارب ..

وكان بيت العقارب هذا فى (مونمارتر Monmartre) ..

وقبل أن أحكى لك ما حدث ، دعنى أعرفك بالمكان قليلاً من باب الاندماج فى جو المكان الذى يساعد على معايشة الحدث .. أعتقد أن هذا مهم وضرورى .. فكيف لأحد سكان المغرب مثلاً أن يتعايش مع أحداث قصة تدور فى الحسين ، مالم يتعرف على المسجد بأضوائه ، وعلى المقاهى الساهرة ليل نهار ، وعلى رائحة الشواء التى تفعم الشارع فى ليالى رمضان ، من عشرات المطاعم حيث وجبات السحور كفيلة بالقضاء على مرضى القلب ، فى ليالى رمضان طلبًا للبركة ؟!

مونمارتر هى قرية قائمة على هضبة ، يسميها الفرنسيون تلة (لابوت La Buttee) ، ولتصل إليها أمامك طريق من اثنين .. إما أن تأخذ باص مونمارتر (Monamartrobus) الذى سيوفر عليك مشقة السير ، وسيمنحك جوله كاملة فى القرية ، وإما أن تبدأ من الصباح الباكر بأن تستقبل المترو إلى (أبيسس Abbesses) ومن ثمَّ المصعد الذى سيقودك إلى أعلى - ليس من الحكمة صعود الدرج الذى لا نهاية له - وستجد نفسك فى مواجهة المدخل الجذاب لمبنى (Art Nouvaue) قرب كنيسة القلب المقدس (Sacre' Coeur) التى تعد تحفة معمارية تستحق الزيارة ، مالم تكن ذاهبًا لإنقاذ ابنة الشبح ..

على كل حال لسنا هنا لنتمتع بجمال الطبيعة ، كما أن مشهد الذروة لهذه القصة أوشك أو كاد ، لذا سنترك هذا كله ، وسنسلك شارع إيفون لو تاك (Rue Yvonne le Tac) لنتجه إلى محطة القطار ، ثم سنتجه شرقًا إلى حيث تلك المبانى الهادئة التى تحيطها الحدائق الفرنسية الغناء ، التى لا تصلح إلا لقصص العشاق أو لتصوير الأفلام الفرنسية ، ذات الصورة شديدة النقاء ..

هل ترى معى هذا المنزل ذو الطابق الواحد ، الذى تحيط به حديقة كئيبة كثيفة الأشجار على نحو كفيل بإخفاء جيش من الحرس ؟! هل ترى تلك النوافذ المكونة من مرايات نصف عاكسة تسمح لمن فى الداخل برؤية من فى الخارج ، والعكس غير صحيح ؟!

هذا هو بيت العقارب الروسى الشهير .. وها أنا الآن ألتقط نسائم الليل الباردة فى صدرى لأستعد للدخول ..

فهل تجرؤ على مرافقتى ؟!

هل تجرؤ ؟

* * *

كانت الخطة جريئة حقًا وتليق بخطة وضعها ثلاث رجال مخابرات وضابط شرطة ، إذ كانت تعتمد على المفاجأة والسرعة .. وعلى كبش فداء قبلت أنا لعب دوره بصدر رحب ، ليكون هذا هو الدور الوحيد الفعال فى هذه القصة ..

كنت أقف أمام المنزل الذى بدا خاويًا كما يفترض به أن يبدو ، وإلى جوارى (إيجور فيودورف) الحامل الرسمى والوحيد للقب الشبح ، ونسائم الليل الباردة تجمد رئتى ، حين قال هو :

ـ هل أنت مستعد ؟!

ـ كالعادة ..

ـ هيا بنا ..

وبأعصاب نحسد عليها حقًا ، اتجهنا إلى بوابة المبنى المعنية ، حيث كابينة الحراسة بزجاجها النصف عاكس ، والتى لم نكد نقترب منها ، حتى خرج منها ثلاثة حراس يحملون المدافع الآلية القصيرة ، وهم ينظرون إلينا بذهول ، كأنهم لا يصدقون ما يحدث أمامهم ، حتى إن أولهم قال بالروسية ـ لم أفهم ما قاله ، لكنى استنتجه ـ فى جهاز الاتصال فى يده :

ـ إنهم هنا ..

أتاه الصوت مصحوبًا بالشوشرة المتوقعة ، بما معناه أن :

ـ فتشهما جيدًا ثم تعال بهما إلى الداخل ..

وهكذا قام الحراس الثلاثة بتفتيشنا جيدًا ، ليتأكدو أننا لا نحمل أى أسلحة ، قبل أن يقودنا إلى الداخل وهم يسددون مدافعهم تجاهنا طيلة الوقت ، وقد التصق تعبير عدم التصديق بوجوههم الباردة ..

الشبح يسلم نفسه إليهم بهذه البساطة .. من يصدق هذا ؟!

بالطبع لم نتصرف بحماقة لو كنت ظننت هذا ، فـ(إيجور) كان قد اتصل بهم قبل مجيئنا ليعرض عليهم الصفقة التالية ..

سيأتى معى إليهم ليسلم نفسه إليهم ، على أن يتركوا (ناتاليا) ترحل معى ..

بالطبع لن يكون الأمر بالبساطة المتوقعة ، فهم إن لم يتركوا (ناتاليا) سيقوم أحد أصدقاء (إيجور) بإرسال نسخة من ملفات المخابرات الروسية إلى جميع أجهزة المخابرات فى العالم ، والضمان الوحيد لكى لا يتم هذا هو أن تبقى ابنته حية ، حتى بعد وفاته هو .. أى أنها صفقة قذرة ، لكنها تضمن أن تخرج ابنته حية من هذا المكان على الأقل ، بعد هذا

فليحدث ما يحدث ، وسيكون الرهان على أى المخططين أذكى .. مخططه أم مخططهم ..

بالطبع سنحصل نحن على المقابل أيًا كانت النتيجة ، فـ (إيجور) منحنا أسطوانة المعلومات المطلوبة ، ولم يتبقى سوى حل الشفرة الذى كتبت به المعلومات داخل هذه الأسطوانة ، وهذا ما سنحصل عليه فى حالة خروج ابنته ، ولن تعرف المخابرات الروسية شيئًا عن هذا ، فكما أكد لى اليسد (أنور) أن مثل هذه المعلومات تفقد قيمتها ، لو تم اكتشاف سرقتها أو الحصول عليها ..

وهكذا ترانا الآن ندخل بيت العقارب ـ مما يدل على أنهم وافقوا على عرضه ، أو أنهم يعدون لنا مفاجأة فى الداخل ـ وقد انضم المزيد من الحرس إلى الثلاثة الذين استقبلونا عند البوابة ، وأصبح من العبث ، محاولة إحصاء عدد المدافع التى تحيط بنا .. الأمر يبدو مبالغًا فيه ، لكن (إيجور) يستحق ..

أخذنا نسير عبر ممرات خالية متشابكة ، ومضاءة بالنيون الهادئ ، وقد مررنا على عشرات الأبواب المغلقة فى المكان ، مما يدل على أنهم بنوه خصيصًا ، ليضل المرء فيه طريقه بسهولة ، وفى النهاية بلغنا تلك الغرفة حيث كان القصير (أنطون) فى انتظارنا ، وقد بدا عليه أنه يحاول السيطرة على أعصابه المضطربة ..

لقد نجح فيما عجزت عنه جميع أجهزة المخابرات ، وها هو الشبح نفسه أمامه وفى عرينه .. أى نصر هذا ..

وحين تحدث ، كان صوته باردًا كالثلج :

ـ أخيرًا يا (إيجور) .. بعد كل هذه السنوات ..

لكن (إيجور) لم ينطق بحرف ، وإن أخذت عيناه تتحركان فى المكان بسرعة ودقة ، بينما حاولت أنا أن أتخلص من رهبة المكان ، لأقول :

ـ ها هو بين يديكم .. سآخذ الفتاة وأرحل ..

ـ لن تذهب إلى أى مكان أيها العربى ..

ـ ماذا تقصد ؟!

ـ أقصد أن الاتفاق لاغ .. والآن يا (إيجور) ستخبرنا أين صديقك هذا الذى يملك الملفات ، أو سنذبح ابنتك أمام عينيك ..

وعلى عكس ما يتوقع تمامًا ، ظل (إيجور) محافظًا على صمته ، على نحو أثار أعصاب (أنطون) الذى صرخ بعصبية :

ـ ألا تفهم ؟! لقد خسرت .. لن تخرج من هنا حيًا ، وهذا ما سيحدث لابنتك لو لم تتكلم ..

لكن (إيجور) حافظ على صمته المستفز ، فتراجعت أنا بظهرى قليلاً لأستند على الحائط ، لألصق كفى به ، ولأبدأ فى التركيز بصعوبة ، بينما يصرخ (أنطون) :

ـ أمامك دقيقة واحدة لتمنحنا ردك ، وإلا ...

دقيقة واحدة للتركيز .. لا يبدو هذا الوقت كافيًا ، لكنى سأحاول على كل حال ..

أغمض عينى مستغلاً أن (إيجور) هو محور اهتمام الجميع ، وأركز ..

أركز .. أركز .. أركز ..

الألم العنيف يتصاعد فى رأسى ، لكنى اعتدت عليه .. ثم الصور تتوالى فى رأسى بسرعة متزايدة ..

ومع تزايد الألم تتزايد سرعة الصور ..

أركز .. أركز .. أركز ..

الصور تتحول إلى شريط سينمائى ، وها أنا أرى ما خلف الجدار .. أرى ذلك المكتب الذى يجلس عليه مجموعة من السادة الروس يتناقشون فى شىء ما لا أفهمه ، لكنى أرغم نفسى على الحركة ..

أركز .. أركز .. أركز ..

وكأننى أقف معهم فى هذه الحجرة ، أبدأ فى التحرك .. ببطء أولاً ، ثم تزداد سرعتى تدريجيًا ..

وصوت (أنطون) يبدو كأنما هو قادم من بعيد .. بعيييد ..

أنا الآن أغادر تلك الغرفة لأعبر بابها المفتوح إلى الممر فى الخارج ، وأبدأ فى التجول فى الممر ..

أركز .. أركز .. أركز ..

الألم وصل إلى حد لا يطاق ، لكنى أقاوم .. يجب أن أقاوم ..

أتحرك فى الممر ، ثم أبدأ فى البحث عنها .. عن (ناتاليا) .. إنها خلف أحد هذه الأبواب ، لكن أى باب بالضبط ؟!

أركز .. أركز .. أركز ..

الآن تتحول حركتى إلى شىء أشبه بحركة كاميرا المخرج (ديفيد فينشر) فى فيلمه (Panic Room) .. من رأى الفيلم منكم ، فلابد أنه رأى كيف تجول عبر المنزل كله بأن أخذت الكاميرا تتحرك كالأفعى ، لتعبر من أسفل الأبواب ، وعبر ثقوب الأسلاك ، ومن خلال الزجاج .. من رأى منكم الفيلم يستطيع أن يتخيل الآن ما الذى أفعله ..

أتحرك بعقلى ككاميرا أفعوانية فى المكان !

أركز .. أركز .. أركز ..

المزيد من الغرف والمزيد من السادة الروس ، ولا أثر لـ (ناتاليا) ..

أنكون قد تسرعنا ، وتكون (ناتاليا) فى مكان آخر ؟! لو كان هذا صحيحًا ، فهذا يعنى أننا هالكون لا محالة .. وأننا ـ وهذا هو الأسوأ ـ قد فشلنا ..

أين أنت يا (ناتاليا) ؟! أين ؟!

أركز .. أركز .. أركز ..

أتحرك بعقلى بسرعة أكبر .. أجتاز الغرف والأبواب والنوافذ والممرات ، وفى النهاية أصل إلى تلك الغرفة فى نهاية الممر الشرقى للمكان ، لأجدها ..

كانت موثوقة إلى أحد المقاعد ، فى حراسة ثلاثة من ضخام الجسد يحملون مدافعهم بتأهب ، وقد حمل وجهها آثار الاستجواب الذى مارسوه عليها ..

الأوغاد ! يضربون امرأة !!

• الآن يمكننى التوقف عن التركيز ، لأعود إلى الغرفة حيث أقف ، لأرى نظرة الاستغراب التى ظهرت فى عينى (أنطون) ورجاله ، وهم يرمقون الدماء التى أخذت تسيل من أنفى بغزارة ، وقد تجسد الإعياء فى ملامحى كأبلغ ما يكون ..

وبتوتر يسأل أحد الحراس :

ـ ما الذى أصابه ؟!

هنا يتلفت لى (إيجور) ليمنحنى نظرة من يريد التأكد من شىء ما ، فأهز رأسى بضعف موافقًا ، ليصرخ (أنطون) فى ثورة :

ـ دقيقتك انتهت يا (إيجور) ..

وهنا يتحدث (إيجور) بصوت لا يحمل ذرة انفعال ، ليجيب :

ـ أحمق أنت كوالدك يا (أنطون) ..

وفى اللحظة التى ارتسم فيها الاستنكار جليًا على ملامح (أنطون) ، تصاعد صوت أحد الحرس عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، يهتف بالذى كنا ننتظره :

ـ سيدى .. لن تصدق .. (إيجور فيودورف) هنا فى الخارج و ... وبتر دوى تلك الرصاصة عبارته ..

وكانت هذه الرصاصة بمثابة إشارة البدء لـ (إيجور) ، فلم يتردد لحظة واحدة ..

والآن عرفت لماذا كان يلقبون (إيجور) بالشبح ..

لقد رأيت بنفسى ..

رأيته ينتزع المدفع من يد أحد الحراس ، ليحركه بسرعة غير عادية ، ولتنطلق الرصاصات من المدفع الكاتم للصوت تجاه الجميع الذين أربكتهم المفاجآت المتوالية ..

ثم رأيت الجميع يتساقطون بسرعة لاتوصف ، إلا (أنطون) الذى عقدت المفاجأة لسانه ، فأخذ يحدق ذاهلاً فى (إيجور) الذى بدا كأنه يمارس عمله بسرعة وهدوء .. عملا اعتاد عليه منذ سنوات ولم يعد هناك من ينافسه فيه ..

وحين انتهى سدد مدفعه إلى (أنطون) ليقول :

ـ ألم أقل لك إنك أحمق ؟!

خرجت الكلمات من بين شفتى (أنطون) كالحشرجة :

ـ ولكن .. كيف ؟؟!

ـ خمّن ..

بالطبع لم يخبره (إيجور) أن من فى الخارج هو رجلنا (أمجد) الذى استطاع بتنكره هذا ، جذب الأنظار إليه بعيدًا عنا ، مسببًا حالة لا توصف من الارتباك للجميع ..

لقد ظنوا أنهم قبضوا على الشبح ليجدوا أنفسهم فى مواجهة آخر !

الجزء الثالث من الخطة كان يعتمد على مجموعة من القنابل الزمنية التى وزّعها السيد (أنور) فى أسوار الحديقة التى تحيط بالمبنى ، لم يكد أولها ينفجر بدوى هائل ، حتى كانت حالة البلبلة والفوضى فى المكان قد وصلت إلى ذروتها ، حتى إن (أنطون) صرخ غير مصدق :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟!

لم نعره أدنى اهتمام ، بل نظر إلى (إيجور) وهو يسدد مدفعه إلى (أنطون) طيلة الوقت ، ليقول :

ـ هل حددت موقعها بدقة ؟

ـ أعتقد هذا ..

ـ انطلق أنت إذن ..

وهكذا تناولت أنا أحد المدافع من الأرض ، لأطلق رصاصاتى على فتحة التهوية فى السقف لأسقطها ، ثم وقفت على المقعد الوحيد فى المكان ، لأدفع بجسدى فى ممرات التهوية ، بينما صرخ (أنطون) بثورة :

ـ لن يمكنك إنقاذها ..

أجابه (إيجور) ببرود مقتضب :

ـ سنرى .. والآن هيا لتساعدنى على الخروج من هنا ..

بالطبع لم أسمع ما الذى حدث بعد ذلك بينهما ، بل أخذت أزحف عبر ممرات التهوية متجهًا إلى حيث يحتجزون (ناتاليا) ، وقد تحول المبنى من أسفلى إلى جحيم تنطلق فيه الرصاصات بلا توقف ، والكل يجرى فى حالة تخبط واضحة ، محاولين السيطرة على هذا الهجوم المفاجئ الذى أتاهم من أكثر من جهة ..

لم يكن الزحف عبر الممر سهلاً لو كنت تظن هذا ، فهو أضيق من أن يسمح لك بحرية الحركة ، كما أننى كنت أمسك بالمدفع طيلة الوقت ، مما جعل حركتى فى الممر أصعب ، لكنى كنت أتقدم بسرعة نسبية عبر شبكة الممرات المعقدة ، متجهًا إلى الغرفة التى رأيت فيها (ناتاليا) والحراس الثلاث .. دعك بالطبع من ذلك الدوار الذى أخذ يعبث برأسى ، بعد كل ذلك المجهود العقلى الذى بذلته ، والدماء التى فقدتها ..

رهانى الوحيد الآن هو أنهم لن يقتلوا (ناتاليا) قبل أن أصل إليها ..

حالة الارتباك التى أصابتهم ، ستمنعهم من اتخاذ قرار جذرى كهذا ، وستجعل الحراس الثلاثة متأهبين تمامًا لأى هجوم

يتعرضون له .. لكنهم لن يتوقعوا أن يأتى هذا الهجوم من أعلى ، وإن كان السيد (أنور) يؤكد أنهم سيتجاوزون المفاجأة فى خمس ثوان لا أكثر ، هى كل الوقت الذى أملكه من لحظة هبوطى على رأسهم ، وحتى أتخلص منهم جميعًا ..

دوى الرصاصات فى الأسفل يتزايد ليمتزج بدوى الانفجارات ، ويبدو أن المعركة قد أصبحت على أشدها ..

المشكلة هى أننى هنا فى الأعلى ، لا يمكننى أن أعرف ما آلت إليه المعركة حتى الآن ..

من يدرى ؟!

ربما أهبط لأجد أنهم استعادوا السيطرة على الموقف ، وأن (إيجور) والسيد (أمجد) قد سقطوا أسرى أو قتلى ، وهذا لن يعنى إلا أنه سيكون علىّ التصرف وحدى ، وأنا ـ ببساطة ـ لا أعرف ما الذى يجب علىّ فعله فى موقف كهذا ..

هذه المواقف صنعت لأبطال القصص البوليسية التى أكرهها منذ صغرى ، أما أنا فلا أملك سوى حقيقة أنها أول مهمة لى بالفعل وأننى لا أعرف كيف سأتصرف حينها ..

كيف سأتصرف حينها ؟!!

لنترك هذا لوقته ..

أزحف .. وأزحف .. وأزحف .. وعبر فتحات التهوية

التى أمرّ عليها أطمئن أن كل شىء على ما يرام ، وأن المعركة لم تتوقف بعد ..

لا يزال أحدهم حيًّا على الأقل ..

وأخيرًا أصل إلى فتحة التهوية المطلوبة ، لأجد نفسى أحدق عبرها إلى (ناتاليا) المقيدة ، والحراس الثلاثة الذين بدوا فى حالة من التوتر ، وأحدهم يسدد مدفعه إلى (ناتاليا) مستعدًا لضغط الزناد كما أمروه أن يفعل ، فى حالات الطوارئ القصوى .. إذا لم نحصل على الأسير ، فلا أحد سوانا سيحصل عليه .. هذه هى القاعدة ..

الآن علىَّ أن أحطم فتحة التهوية هذه لأهبط عليهم كالصقر ، ولأطيح بالثلاثة فيما لا يزيد عن خمس ثوان ، لأحرار (ناتاليا) ولأخراج بها من هنا ..

المخطط يبدو أنيقًا حقًّا ، لكن .. لكن كيف سأهشم فتحة التهوية هذه إذا كنت عاجزًا عن الاعتدال فى هذا الممر الضيق الذى يكفى بالكاد للزحف فيه أفقيًّا ..

هيا يا قارئ الروايات البوليسية .. أين الحلول العبقرية ؟!

أين ؟!

* * *

١٠ ـ الهروب من بيت العقارب ..

أنا سأخبرك كيف تتصرف ، فلا يوجد سواى على كل حال ..

ما ستفعله هو أنك ستمسك بالمدفع بحيث تكون فوهته لأعلى ، وكعبه على فتحة التهوية بيدك اليسرى .. تذكر .. يدك اليسرى .. والآن ادفع بجسدك إلى الأمام قليلاً إلى الحد يتيح لك رفع صدرك عن أرضية الممر ، ثم انهال بمرفقك الأيمن على فتحة التهوية ، فى اللحظة التى ستضغط فيها بيدك اليسرى على الزناد المدفع ، وليندفع بفعل قاعدة (لكل فعل رد فعل يساويه فى القوة ويضاده فى الاتجاه) إلى الأسفل حيث فتحة التهوية و .. وها هى فتحة التهوية تهوى على الأرض بدوى معدنى مؤلم ، بينما أنزلق أنا بجسدى لأهبط على الثلاثة كالصقر ..

خمس ثوان هى كل ما أملكه ، وخمس ثوان هى كل ما استغرقته ..

وها هى ثانى مرة أستخدم فيها قدرتى القتالية الجديدة التى اكتسبتها من تجربة (مجدى) العجيبة ـ المرة الأولى

كانت حين واجهت (مجدى) فى مقره فى مصر ـ ألم أقل لك إنه لا توجد ضرورة لقراءة الأعداد السابقة ؟! ـ لأجد أن مهاراتى الجديدة تفوق قدرات ثلاثة من رجال المخابرات الروسية المحترفين .. وبمراحل ..

لا أجيد وصف المعارك كما هو واضح ، لكن لى أن أفخر بالإنجاز الذى حققته هنا ، وقد تساقط الثلاثة فاقدى الوعى ، والدماء تنزف من وجوههم ، لأتفرغ أنا إلى (ناتاليا) ..

الأوغاد .. كيف يجرءون على فعل ما فعلوه مع هذه الفتاة البائسة ؟!

حين رأيت (ناتاليا) أول مرة ، كانت فاتنة تكفى ابتسامة منها لتلهيك عن نفسك ، أما الآن والكدمات تفترش وجهها مع الدماء الجافة ودموع الهلع والألم ، فلم أشعر تجاهها سوى بالإشفاق ، وأنا أحلّ قيودها محاولاً تهدئتها ، بينما أصوات المعركة فى الخارج مازالت مستمرة ، قائلاً :

ـ أنا هنا لإنقاذك .. تماسكى ..

ـ أبى .. أين أبى ؟!

ـ سيكون على ما يرام .. والآن لنخرج من هنا ..

ـ كيف ؟!

هنا أخرجت تلك العلبتين البلاستيكيتين من كعبى حذائى ، ومجموعة من الأسلاك الرفيعة من داخل الحزام ، واتجهت إلى الجدار الذى يفصلنا عن الحديقة فى الخارج ، وأنا أجيب :

ـ لقد منحونى وسيلة الهرب ، لكن لنأمل أن تصلح ..

كانت هذه هى أغرب قنبلة رأيتها فى حياتى ، وحين منحنى إياها السيد (أنور) ، شعرت أنه يمزح ، لكنه شرح لى أن كل ما علىّ فعله هو ان ألصقهما بالجدار ، وأن أوصل الأسلاك بينهما بنسق خاص ، ثم أن أضغط على الزر الأحمر فى العلبة الأولى ، قبل أن أتخذ أقرب ساتر لى .. وهكذا ألصقت العلبتين فى الجدار .. ثم الأسلاك بالنسق المطلوب .. ثم ضغطت الزر الأحمر ، لأجذب (ناتاليا) إلى ركن الغرفة ، والمقعد المعدنى من أمامنا ليتلقى هو موجة الانفجار ثم أخذنا ننتظر ..

هل توقعت ما حدث ؟!

نعم .. لم تنفجر القنبلة ..

للأسف !

* * *

كانت (ناتاليا) هى من سألت فى هلع :

ـ لماذا لم تنفجر القنبلة ؟

ـ لأننى سيئ الحظ يا عزيزتى .. حاولى أن تعتادى هذا ..

ـ وما الذى سنفعله الآن ؟!

هنا لم أجبها ، بل أخذت أفكر فى حل للموقف الذى أصبحنا فيه ..

لا يمكننا الخروج من الغرفة بالطبع ، لنواجه كل من فى الخارج .. إن من يلقى بنفسه فى هذه المعركة هو أحمق بالتأكيد ، خاصة لو كان يجر معه فتاة شبه مهمشة ، لذا كان علىّ التفكير فى لحل بديل ..

المشكلة أننى لا أفهم كيف تعمل هذه القنبلة بالضبط .. لو خرجت من هنا حيًّا ، سأحاول أن أتعلم كل شىء عن القنابل وعن اللغة الروسية .. أما الآن ، فأمامى فرصة وحيدة للتجربة ، ولنأمل أن تنجح ..

أعدت (ناتاليا) إلى مكانها فى ركن الغرفة خلف المقعد ، والتقطت المدفع الآلى لأصوب على القنبلة الملتصقة بالحائط ، وأنا أقول :

ـ المفترض أنها قنبلة رغم كل شىء ، وهذا يعنى ..

ثم أطلقت رصاصاتى على العلبتين الملتصقتين بالحائط فظل كل شىء على حاله للحظة ثم دوى الانفجار أخيرًا بدوى مخيف ، غابت فيه صرخة (ناتاليا) ، ليهوى الحائط مثيرًا عاصفة من الغبار ، وليتلقّى المقعد أمامنا موجة الانفجار والشظايا بدلاً منّا ..

لا بدّ أن دوى الانفجار سيجذب الانتباه إلينا ، لذا هببت على الفور ، وجذبت (ناتاليا) من معصمها قائلاً :

ـ هيا بسرعة ..

وعبرنا الجدار المتهدم إلى الحديقة فى الخارج ، التى غلفها الظلام تمامًا ، إلا من وميض الطلقات النارية ، لنشق طريقنا عبرها إلى النقطة المتفق عليها ..

بالطبع لم يكن الأمر سهلاً ، وكنت أحمل مدفعى طيلة الوقت أمامى ، لأزيح أى شخص يعترض طريقى ، دون لحظة تردد واحدة .. حين تواجه رجل مخابرات مسلح فى طريقك للهرب من وكره ، فكل ما تملكه هو نصف ثانية لتطلق رصاصاتك ، قبل أن يمطرك هو برصاصاته ، وهذا يعنى أن المعادلة ـ وببساطة ـ حياتك أو حياتهم ، لذا يمكننى أن أقول بضمير مستريح ، أننى لم أكن أملك الخيار ..

وكدنا نصل إلى النقطة المتفق عليها عند سور الحديقة ، حين ظهر ثلاثة من الحراسة ، ليقطعوا الطريق علينا ، وهم يصرخون بلغتهم الروسية الثقيلة ، وبدا أنها النهاية ، لولا أن انطلقت تلك الرصاصات من نقطة خلف سور الحديقة ، لتحصد الثلاثة بسرعة ودقة ، وليرتفع صوت السيد (أنور) :

ـ من هنا .. أسرع ..

فأسرعت إليه ومن خلفى (ناتاليا) التى كانت فى حالة من الإجهاد ، لم تسمح لها بممارسة الهستيريا المعتادة ، التى تصيب كل الإناث فى مثل هذه المواقف لحسن الحظ ، فساعدتها على تجاوز السور ، لنجد السيد (أنور) فى سيارة معدّة للانطلاق ، والذى لم يكد يرانا حتى هتف :

ـ هيا بسرعة ، قبل أن ينطلقوا فى إثرنا ..

ـ لكن .. أبى ؟!

كانت هذه من (ناتاليا) ، لكن الموقف لم يكن يسمح بالشرح الشرح ، فدفعتها إلى المقعد الخلفى ، واتخذت مكانى جوارها ، لينطلق بنا السيد (أنور) على الفور ، وبأقصى سرعة ..

لقد نجحنا .. هربنا من بيت العقارب ..

وكررت (ناتاليا) بقلق لا حد له :

ـ أبى .. أين هو ؟!

فأجاب السيد (أنور) ، وهو يواصل طريقه :

ـ لا تقلقى .. سيكون كل شىء على ما يرام ..

لقد انتهى دورنا نحن فى هذا المخطط الانتحارى ، ونجحنا فى إنقاذ الفتاة ، والخروج من بيت العقارب على قيد الحياة ..

وكعادتى سأتجاوز كل التفاصيل المعتادة ، وسأخبرك أنه بعد ساعة كاملة ، وصلنا إلى ذلك المنزل الآمن فى باريس ، بعد أن تأكد السيد (أنور) بكل الطرق الممكنة ، أنه لا يوجد من يطارده أو يتتبعه ، ليبدأ انتظارنا ..

دورنا فى المخطط انتهى ، لكن ماذا عن (إيجور) والسيد (أمجد) ؟!

هل نجحا هم أيضًا ، أم ؟؟

لم يطل انتظارنا ، إذ لم تكد نصف ساعة تمرّ علينا فى المنزل الآمن ، حتى وجدنا (إيجور) يدخل علينا ، وقد بدا فى حالة رثة وأثار المعركة واضحة عليه ، فكادت (ناتاليا) تلقى بنفسها بين ذراعيه ، لولا أنه نزع قناعه ، لنجد أنه السيد (أمجد) الذى نظر إلينا بدهشة قبل أن يقول :

ـ (إيجور) .. أين هو ؟!

ـ كنّا على وشك أن نسألك ذات السؤال ..

ـ لقد انسحبت بعد تأدية دورى كما هو المخطط ، وكنت أتوقع أن أجده هنا حين أعود .. وهنا تبادلنا النظرات الصامتة التى تحمل ألف معنى ومعنى ، بينما انهمرت دموع القلق من عينى (ناتاليا) ، ليبقى هذا السؤال معلقًا تلك الليلة ، بلا إجابة ..

ترى .. ما الذى حدث لـ (إيجور فيودورف) ؟!

أين هو الشبح ؟؟!!

* * *

١١ ـ أريد الرحيل .. ولكن ..

نحن الآن نقف فى مطار (شارل ديغول) أو كما يسميه الفرنسيون (رواسّى Roissy) كعادتهم فى تغيير أسماء الأماكن التى تحمل أسماء الرؤساء أو الزعماء فى فرنسا ، فهم يمقتون تلك العادة فى أن يحمل كل مبنى فى البلاد اسم رئيس أو زعيم أو أحد القادة الذين لا نهاية لهم ..

أقف الآن جوار السيد (أنور) بقامته القصيرة ونظراته النافذة ، و(ناتاليا) التى ارتدت نظارة سوداء ضخمة ، لتخفى كدمات وجهها ، وقد صبغت شعرها باللون الأسود ، لتحيط الباقى من وجهها بوشاح صوفى سميك ، وهكذا بات من المستحيل أن تتعرف عليها ..

كانت تنظر إلى ساعتها كل عشر ثوان ، على نحو دفع السيد (أنور) لأن يزجرها همسًا :

ـ ستلفتين الأنظار إلينا بقلقك هذا ..

ـ أعتذر .. لكنى أشعر بالقلق حقًا ..

ـ حاولى التماسك إذن ..

نرى (أمجد) يقدم نحونا ببطء ، فلا يتخذ أحدنا أى ردة فعل ، حتى يصل إلينا ، ليسألنا بهدوء ، ودون أن يبدو عليه أنه يعرفنا :

ـ هل يعرف أحدكم الطريق للبوابة التاسعة ؟

ـ من هذا الاتجاه .. اتبع هؤلاء المسافرين ..

ـ أشكرك ياسيدى ..

هكذا نعرف أن المطار آمن ، وأنه لن يهجم علينا أحد فجأة ، لنعود إلى الانتظار ..

وأخيرًا يظهر ذلك البدين برأسه الصلعاء مستندًا على عكاز معدنى رخيص الثمن ، حاملاً حقيبة صغيرة ، ليتجه نحونا بخطوات بطيئة هادئة .. وحين يبلغنا يتحدث ، فيخرج منه صوت مألوف :

ـ كيف حالك يا (ناتاليا) ؟

يتهدج صوت ابنته وهى تجيب ، محاولة السيطرة على نفسها بصعوبة :

ـ أبى .. أنت بخير ..

ـ نعم .. لاتقلقى .. بعد قليل سينتهى هذا كله ..

ثم إنه ناول السيد (أنور) الحقيبة الصغيرة التى يحملها ، ففتحها السيد (أنور) ليلقى عليها نظرة سريعة قبل أن يقول باقتضاب :

ـ عظيم ..

ـ الصفقة تنتهى عند هذا الحد ..

ـ بالتأكيد ..

ويلتفت لى (إيجور) ليرمقنى بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ أشكرك على إنقاذ ابنتى ..

ودون أن ينتظر ردى ، يجذب (ناتاليا) من يدها ، ليبتعدا عنا .. وبعد لحظات كانا قد ذابا فى زحام المطار ، لنتجه أنا والسيد (أنور) إلى باب الخروج ..

لقد انتهت الصفقة ..

وفى التلفاز الضخم المعلق فى المطار ، تسمع المذيعة الأنيقة تقول :

ـ هذا وقد شهدت قرية مونمارتر مذبحة مروعة ليلة أمس ، راح ضحيتها عشرون من الأجانب ، الأغلب أنهم يحملون الجنسية الروسية .. وبينما تتصاعد الشائعات بأن

هذه المذبحة هى نتيجة حرب عصابات منظمة ، إلا أن الشىء الغريب الذى يواجه رجال المعمل الجنائى ، هو أنهم كانوا يحملون عملات معدنية فى أفواههم ، الأمر الذى يشبه بعض الطوائف و ...

* * *

بالطبع نجا (إيجور) فى هذه الليلة ، لكنه لم يغفر لهم ما فعلوه فى ابنته ، فلم يبق على أحد منهم ..

وهكذا وبعد أن أوشكت المخابرات الروسية على القضاء عليه ، هاهى تتلقى صفعة قاسية منه أغلب الظن أنها ستقنعهم بتركه فى حاله إلى الأبد ..

صحيح أن باريس استيقظت لتجد هذه المذبحة التى تبقت من ليلة أمس .. وصحيح أن رجال التحقيقات والمعمل الجنائى سيبذلون جهدًا عظيمًا فى محاولة البحث عن تفسير مقنع لما حدث ، وربما ربطوا بين هذه المذبحة وبين الجثة التى عثروا عليها مشتعلة فى الفندق - وإن كنت أشك فى هذا - لكن أيًا كان ما سيصلون له ، فلاشك أن لديهم عشرين جثة روسيّة ، وأنهم جميعًا يحملون تلك العملات المعدنية فى أفواههم ..

بالتأكيد ستبدو هذه النقطة بالذات غريبة للغاية ، وبالتأكيد أنها ستحيرهم طويلاً ، وأنهم سيجربوا خبراء من التخصصات المعروفة للبحث عن تفسير لهذه النقطة ، لكنهم لن يعرفوا الحقيقة أبدًا ..

فقط أجهزة المخابرات هى من تلقت الرسالة كاملة ..

لقد كانت هذه الضربة تحمل إمضاء الشبح الشهير ، وهذا يعنى أن هناك من أخرجه من حالة السبات الاختيارية التى كان فيها ، وأنه دفع ثمن هذا غاليًا ..

بالطبع ستبقى المخابرات الروسية صامته ، عاجزة عن تصديق ما أصابها ، وبالتأكيد ستحاول معرفة كيف استطاع رجل فى الستين من عمره التسبب فى هذا كله !

حتى لو حاولوا العثور عليه فلن يستطيعوا .. صحيح أننا نعرف أنه أخذ الطائرة المتجهة إلى إيطاليا ، لكن من قال أنه سيظل هناك ؟!

إنه سيفعل ما اعتاد أن يفعله طيلة حياته .. سيختفى .. كالشبح ..

* * *

فى المقهى الذى التقينا فيه أول مرة ، جلست مع السيد (أنور) لأشرح له قرارى ..

أنا لن أستطيع العمل معهم .. هذه الحياة تبدو صاخبة أكثر من اللازم ، وأنا لم أعد أتحمل المزيد .. صحيح أننى من اخترت فى أول الأمر ، لكن ما حدث فاق كل الحدود التى توقعتها .. إذا كانت هذه هى مهمتى الأولى معهم ، فما الذى سيحدث لو واصلت ؟!

استمع إلىّ السيد (أنور) طويلاً ، قبل أن يقول بهدوئه الذى لا يتزحزح :

ـ (سامى) .. إنه قرارك رغم كل شىء ، لكن دعنى أخبرك بشىء واحد .. إنها مهمتك الأولى ولقد أبديت فيها مهارات لم نكن نتوقعها منك على الإطلاق .. ربما يزعجك أننا نتعامل معك على أساس قدراتك ، لكن لماذا لا تفكر بالأمر بهذه الطريقة ؟ أنت قادر على منحنا شىء لا يملكه الأعداء .. شىء تجيد استخدامه ، ونحن فى حاجة إليه ..

ـ لكنى أشعر بالإرهاق حقًا ..

ـ أمر طبيعى .. عالمنا مرهق ، لكن لا تنكر أنه ممتع كذلك .. هل كنت تتصور أن تخوض هذا كله بمفردك ؟

ـ هذا مالم أعد أطيقه .. حتى لو كان ممتعًا ، فهو خطر ومرهق أكثر من قدرتى على الاحتمال ..

ـ ومن قال إن كل مهامنا بهذه الصورة ؟! هذه مزية عالمنا الوحيدة .. التنوع الذى لا نهاية له .. هناك ما هو أفضل وهناك ما هو أسوأ ..

ثم إنه صمت قليلاً قبل أن يقول :

ـ صدقنى يا (سامى) .. ولو لم أشعر أنك ستحقق نجاحًا فى عالمنا هذا ، لما طلبت منك أن تستمر .. لاحظ أنك مررت بمهمتك الأولى دون أى استعداد أو تعليم مسبق ، وهذا ما يجب أن تحصل عليه ، لو قررت الاستمرار ، وستشعر بفارق كبير بعدها ..

ونهض من على مقعده ليترك الصحيفة التى يحملها أمامى ، وهو يقول :

ـ سأتركك حتى تتخذ قرارك ، وإن كنت أرجو ألا تطيل علىّ فى الرد .. بالمناسبة اقرأ الصفحة السابعة ، وستعرف المقابل الذى يدفعنا للاستمرار والتحمل ..

وغادر المكان بخطوات سريعة ليتركنى وسط عاصفة لا ترحم من الأفكار ..

وحين فتحت الصفحة السابعة كان هذا الخبر فى انتظارى .. وكان عنوانه ..

(القبض على أكبر شبكة تجسس فى الشرق الأوسط) ..

هذا هو المقابل إذن ..

هذا هو المقابل ..

* * *

قضيت الأيام التالية وأنا فى حالة حيرة شديدة عاجزًا عن اتخاذ قرارى النهائى ، وكنت قد بدأت أميل إلى فكرة المواصلة .. صحيح أننا نتعذب فى هذا العالم ، لكنه عذاب يستحق ..

على كل حال ، لم أكن قد وصلت إلى قرارى النهائى ، حين زارنى السيد (أنور) بعد لقائى الأخير معه بيومين ، فى شقتى ، ليخبرنى أن هناك شيئًا طارئًا لا يقبل التأجيل ..

كان يحمل معه شريط فيديو ، عرضه علىّ وهو يقول :

ـ أرجو أن تكون قد اتخذت قرارك .. فما يحويه هذا الشريط سيثير اهتمامك حقًا ..

ـ ما الذى يحويه هذا الشريط ؟!

ـ انظر بنفسك ..

وهكذا شغلت الشريط ، وجلست إلى جواره أمام التلفاز لأفهم ما الذى كان يتحدث عنه ..

فعلى الشاشة أمامى ظهر وجه مألوف .. وجه لم أتخيل أننى سأراه بهذه السرعة .. وجه (مجدى) !!

وبابتسامة شيطانية قال (مجدى) فى التلفاز ، ليدوى صوته فى أرجاء الشقة :

ـ مرحبًا بكم .. وصول هذا الشريط لكم يعنى أننى قد متّ ، لكنه لا يعنى أن كل شىء قد انتهى .. صدقونى أيها السادة .. أمامنا الكثير من المرح فى الفترة القادمة ..

والواقع أنه كان على حق ..

ففى انتظارنا الكثير من المرح حقًا ..

والكثير من الهلع ..

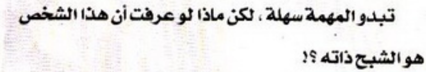
لكن لنترك هذا للقائنا القادم ..

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

سلسلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!





د. تامر إبراهيم

وكانت مهمتي الأولى كمجهول هي أن أساعد على نقل شخص ما من مكان إلى مكان ..

تبدو المهمة سهلة ، لكن ماذا لو عرفت أن هذا الشخص هو الشبح ذاته ؟!

ها هي ذي قصتنا الثالثة أيها السادة ، وهأنذا ألهث - كالمعتاد - خلف الأحداث المتوالية بسرعة عجيبة ، وها هي ذي باريس تحيا معي أياماً لن ننساها بسهولة ..

أيام مع الشبح !





الثمن في مصر ٣٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم